فِقْهُ التَّرْبِيَةِ بِالثَّوَابِ

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

1443 هـ - 2022 م

رقم الإيداع: 2018/22650

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6546-48-6

+2 0100 790 5106
+2 0100 287 5636

01000 28 21 66
دار الأمل للطبع والنشر والتوزيع
daralamalpublishing
Daralamal Dar Alamal
Daralamal2014@gmail.com

سِلْسِلَةُ ضَرُورَةِ مَحْوِ الأُمِّيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ ❶

فِقْهُ التَّرْبِيَةِ بِالثَّوَابِ

إِعْدَادُ

د/ مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ المُقَدَّمُ

اسْتِشَارِيُّ الصِّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

دار التميز
دار التميز للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

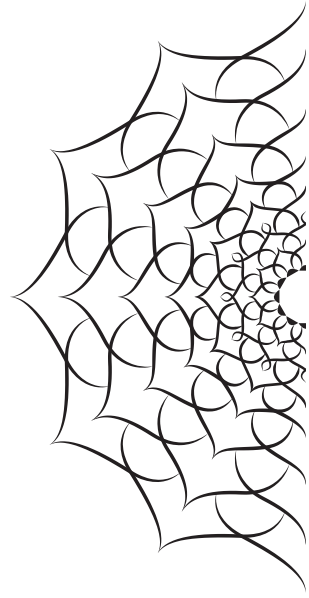

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على محمدٍ نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد..

فإن الطفل واحد من رجال الأمة إلا أنه مستتر بثياب الصبا، فلو كُشف لنا عنه، وهو كامن تحتها لرأيناه واقفًا في مصافِّ الرجال القوَّامين، لكن جَرَتْ سنة الله أن لا تتفتَّق أزرار تلك الأستار إلا بالتربية شيئًا فشيئًا، ولا تؤخَذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدريج[1].

وشعار «الأطفال هم المستقبل» حقيقة لا مجاز، واقعٌ لا خيال، فمِن ثَمَّ ينبغي أن يُصرف الهمُّ الأكبر إلى تهيئتهم ليكونوا مؤتمنين على مستقبل أمة الإسلام، وينبغي أن نتخلى عن نظرتنا إلى هؤلاء البراعم على أنهم لُعبة مُلْهِية نتسلَّى بها، وننسى أن تربية الأطفال تبدأ مبكرًا جدًّا.

فينبغي على المصلحين أن يصرفوا قدرًا عظيمًا من الجهد في توجيه الآباء إلى الأساليب العلمية الصحيحة لتربية أولادهم في شتى مراحل نموهم، كي يشبوا أصحاء نفسيًّا، وإلا فما أفدح الخسائر التي تتكبدها الأمة إذا هي أهملت تربية أبنائها!

وأول ما يرى الطفل من الوجود منزلُه وذَووه، فترتسم في ذهنه أولُ صور الحياة، مما يراه من حالهم، وطرق معيشتهم، فتتشكل نفسه المرنة؛ القابلة لكل شيء، المنفعلة بكل أثر؛

(١) «حياة الأمة» للشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٦٧).

بشكل هذه البيئة الأولى؛ وإن أول قلعة يتحصن بها الطفل هي الأسرة، أقوى مؤسسة تربوية على الإطلاق، يقول الإمام أبو حامدٍ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذَجة، خالية من كل نقش وصورة؛ وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشّر، وأُهمِل إهمالَ البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القَيّم عليه، والوالي له. يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**)[1]»[2].

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقًّا، فللابن على أبيه حق؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨]. وقال تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]. وقال علي بن أبي طالب: (علموهم وأدبوهم). وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦]. وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»[3].

(١) رواه بنحوه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨)، وغيرهما.

(٢) «الإحياء» (٣/ ٧٢).

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢١٠، ٢١١)، ومسلم (١٦٢٣)، وغيرهما.

فوصية الله للآباء بأولادهم، سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

ثُمَّ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتَرَكَه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم مِنْ قِبَلِ الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبتِ! إنك عققتني صغيرًا، فعققتُك كبيرًا؛ وأضعتَني وليدًا، فأضعتُك شيخًا»(١).

وإن الزواج وإنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة يحاسَب عليها المرء يوم القيامة؛ أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا؟ وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ؟ وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمِكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**» وفي رواية: «**أَلَمْ أُزَوِّجْكَ**»(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تعالى سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ: أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَهُ؟ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»(٣).

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص ٢٢٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩)، والترمذي (٢٤٢٨)، والإمام أحمد (٢/ ٤٩٢).

(٣) رواه ابن حبان (١٥٦٢)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨١)، وصححه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١١٣).

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»(١).

ورُوي عن ابن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»(٢).

وما أحسن ما قال المعري:

ويَنشأُ ناشئُ الفتيانِ مِنّا ... على ما كانَ عَوّدَهُ أبُوهُ

وما دانَ الفتى بحِجًا، ولكنْ ... يُعَلِّمُهُ التَّدَيُّنَ أقرَبُوهُ

ورحم الله من قال:

قَد يَنفعُ الأدبُ الأطفالَ في صِغَرٍ ... وليسَ يَنفعهم مِن بعدِهِ أدبُ

إنّ الغصونَ إذا قوَّمتَها اعتدلتْ ... ولا يَلِينُ ولو قوَّمتَهُ الخَشَبُ

وقال ابن خلدون: «التعليم في الصغر أشد رسوخًا، وهو أصل لما بعده»(٣).

ويتأكد الاهتمام بتربية الأطفال في زماننا هذا الذي تتناوش فيه أطفالَنا وأبناءنا أفكارٌ ومناهجُ تصرفهم عن دينهم، وتتخطفهم مذاهب هدامة من كل حدبٍ وصوب.

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ١١٢، ١١٣)، ومسلم (١٤٢).

(٢) رواه أبو داود (١٦٩٢)، وغيره، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٣/ ٤٠٧).

(٣) «المقدمة» (ص ٣٣٤).

ومن رعى غنمًا في أرضِ مَسْبَعةٍ[1] ونـام عـنهـا؛ تـولى رَعْيَها الأسَـدُ

لقـد اشـتد حـرص السـلف عـلى مبـاشرة هـذه المهمـة الجسـيمة، حتـى أن المنصـور بعـث إلى مَـن في الحبـس مـن بنـي أميـة، يقـول لهـم: «مـا أشـدُّ مـا مَـرَّ بكـم في هـذا المحبـس؟»، فقالـوا: «مـا فقدنـا مـن تربيـة أولادنـا».

واشـتد نكيرهـم عـلى مَـن يـصرف همـه إلى الكبـار فقـط، ويهمـل الصغـار، ومـا ذاك إلا لأن الأمـة محتاجـة إليهـم، وهـم الأعمـدة التـي تُبنـى لتحمـلَ ثِقَـلَ البنـاءِ فيـما بعـد.

قـال عمـرو بـن العـاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لحلقـة قـد جلسـوا إلى جانـب الكعبـة، فلـما قـضى طوافـه جلـس إليهـم وقـد نَحَّـوْا الفتيـانَ عـن مجلسـهم، فقـال: «لا تفعلـوا! أوسِـعوا لهـم، وأدنوهـم، وألهموهـم، فإنهـم اليـوم صغـار قـوم يوشـك أن يكونـوا كبـارَ قـومٍ آخريـن، قـد كنـا صغـار قـومٍ أصبحنـا كبـار آخريـن».

وقـد علـق الإمـام ابـن مُفلـح رَحِمَهُٱللَّهُ عـلى هـذه العبـارة قائـلًا: «وهـذا صحيـح لا شـك فيـه، والعلـم في الصغـر أثبـت، فينبغـي الاعتنـاء بصغـار الطلبـة لا سـيما الأذكيـاء المتيقظـين الحريصـين عـلى أخـذ العلـم، فـلا ينبغـي أن يُجعـل عـلى ذلـك صغرهـم أو فقرهـم وضعفهـم مانعًـا مـن مراعاتهـم والاعتنـاء بهـم»[2].

(١) **المَسْبَعة**: الأرض الكثيرة السباع.

(٢) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٢٢٥).

إن الهدف الأسمى من التربية في الإسلام هو إنقاذ الذرية من الهلكة في النيران، والفوز بالخلود في جنة الرضوان، بأن يشبوا صالحين يعملون لصلاح دينهم ودنياهم، ويسعدوا في الدارين.

ويكفي في بيان خطر المسؤولية التربوية أن الخلل فيها ربما يؤدي إلى عقوبة النار.

ومن رحمة الله بعباده أن فطر الآباء الأسوياء على الرحمة بالأبناء، والشفقة عليهم من كل ما يضرهم.

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُدِمَ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَسعى، قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا، إِذَا وَجَدَت صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْزقتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ المرأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا والله، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ المرأةِ بِوَلَدِهَا**»[1].

لقد حفل الوحيان الشريفان بالنصوص الكريمة التي تحض الأبناء على بر الوالدين والإحسان إليهما، ولم تأت نصوص تحض الآباء على بر الأبناء بالدرجة نفسها، اكتفاء بهذه الرحمة الفطرية التي أودعها الله تعالى قلوب الآباء والأمهات.

ومن مظاهر إحسان الوالدين إلى الأبناء ما ذكره الله تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٦٠، ٣٦١)، ومسلم (٢٧٥٤).

وقد وعد الله سبحانه عباده المؤمنين بأن يلحق بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإحسان على طريق الإيمان، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الطور: ٢١].

يتداعى الناس من حين إلى آخر للانخراط في حملات وبرامج «محو الأمية»، وتبذل الحكومات أموالًا طائلة من أجل محو أمية القراءة والكتابة، وقَلَّ من يلفت الانتباه إلى تفشي نوع آخر من الأمية، هو أخطر بكثير من أمية الجهل بالقراءة والكتابة، إنها «الأمية التربوية»، فضلًا عن أن يفكروا في محوها طبقًا لمنهجية علمية دقيقة.

ـ أمية الكتابة والقراءة لها آثار أخف بكثير من الأمية التربوية، لأن الأخيرة قد تُخرج أجيالًا مشوهة نفسيًّا تتعذب في هذه الحياة، وتعذب الآخرين.

ـ أمية الكتابة والقراءة تتفشى في طائفة معينة من الناس، لكن الأمية التربوية لا ترحم، فإنها تتفشى كالداء الوبيل في كل طبقات المجتمع، وفي خواص الناس قبل عوامهم.

ـ أمية الكتابة والقراءة قد تكون واضحة ظاهرة، أما الأمية التربوية فإنها غالبًا ما تستتر، ولا نحس بها إلا عندما نحصد ثمارها المريرة.

لا يوجد في الدنيا والدان يستيقظان في الصباح، ويأتمران ويخططان: «كيف أحطم نفسية أبنائي، وأطيح بثقتهم بأنفسهم أرضًا، وأشحنهم بالعقد النفسية التي تدمر مستقبلهم؟»، لكن الواقع المرير أن من الآباء من يفعل ذلك ـ بسبب أميته التربوية ـ وهو لا يشعر.

إن الجهل بالمناهج التربوية الصحيحة مشكلة واقعية، لكن المشكلة تصبح أكثر تعقيدًا حين يسلك بعض الآباء مسالك مدمرة في تربية أولادهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وإذا كان عدم العلم جهلًا، فإن الخطأ في العلم أشد جهلًا.

فإننا إذا سألنا رجلًا عن الأسد، فقال: لا أدري، فعدم علمه هنا جهل، لكن إذا أجاب بأنه فيل مثلًا، فخطؤه هنا جهل مضاعف، لأنه يجهل ماهية الأسد وماهية الفيل أيضًا.

كثير من الناس لا يبالون بمسألة التربية ولا يرفعون لها رأسًا، وينظرون فقط إلى النموالجسدي للطفل، ويغفلون عن مظاهر النمو الأخرى، وما تستلزمه كل مرحلة عمرية من أساليب تربوية متغايرة.

ومنهم من يعتز بتراث آبائه، والطريقة التي رباهم بها الآباء دون إخضاعها للفحص العلمي لتنقيتها مما يضر بالأبناء.

ومنهم أخصائيون تربويون يتكلمون من برج عاجي مرتفع عن عموم الناس، وتطغى عليه الأساليب الأكاديمية التي تناسب فقط طبقتهم العلمية.

ـ ومنهم من يتشبع بالمناهج التربوية الغربية ويسقطها على مجتمعاتنا عشوائيًّا دون فرز ولا تمحيص، فيكون كالقرد الذي رأى سمكة قد جرفها السيل وأخذ يدفعها أمامه، فالتقطها وأبعدها عن الماء كي ينقذها!

ونحـن لا ننكـر الجوانـب الإيجابيـة التـي أبدعتهـا الحضـارة الغربيـة في تربيـة الأطفـال، بـل نسـتفيد بهـا مـن بـاب «الحكمـة ضالـة المؤمـن»، وهـذا لا يسـتلزم منـا أن نسـلم للمفاهيـم الغربيـة تسـليمًا مطلقًـا، لأن العيـب الأكـبر في هـذه المفاهيـم أنهـا تلتقـي عـلى إعـداد الطفـل ليكـون قـادرًا عـلى تحقيـق رغباتـه وأهدافـه الدنيويـة مـع قطـع النظـر تمامًـا عـن الحسـاب الأخـروي، لأن الحضارة الغربيـة حضـارة ماديـة لا تؤمـن بـالله ورسـله، وتتلطـخ بكفـر الإعـراض عـن الديـن الحـق، وتنظـر إلى التديـن عـلى أنـه علاقـة شـخصية بـين العبـد وربـه، تُحبـس داخـل القفـص الصـدري، وتنحـصر بـين جـدران المسـاجد، ولا علاقـة لهـا بتنظيـم الحيـاة.

فأنـى لمثـل هـذه النظـرة أن تسـود في أمـة قـال رسـولها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُـمَّ أَصْلِـحْ لَنَـا دِينِنَـا الَّـذِي هُـوَ عِصْمَـةُ أَمْرِنَـا**»، وقَـالَ: «**وَلَا تَجْعَـلْ مُصِيبَتَنَـا فِي دِينِنَـا، وَلَا تَجْعَـلِ الدُّنْيَـا أَكْـبَرَ هَمِّنَـا، وَلَا مَبْلَـغَ عِلْمِنَـا**».

حـين يولـد الطفـل فإنـه لا يملـك أي قـدر مـن المعرفـة، ولكنـه يبـدأ في اكتسـابها مـن البيئـة المحيطـة بـه، لا سـيما الوالديـن، ومِـن ثَـمَّ يجـب عـلى الوالديـن أن يسـتعدا لاسـتقبال المولـود بتعلـم خصائـص كل مرحلـة عمريـة مقبلـة بالتفصيـل، ودراسـة الأسـاليب التربويـة المناسـبة لـكل مرحلة. إن إنفـاق سـاعة واحـدة يوميـة في تعلـم هـذا يوفـر عليـك وعـلى أولادك معانـاة قـد تطـول وتشـتد

إذا لم تتسلح بفقه التربية الصحيحة، وإن طريقة التربية منذ السنوات الأولى من عمر الطفل تنعكس على شخصيته وعلاقاتها. ونحن في عصر تيسرت فيه سبل تعلم كل شيء بسبب ثورة المعلومات والاتصالات، ولم يعد لأحد عذر إذا تشبث بجهله، وأعرض عن التعلم.

إن أنجح مشروع استثماري هو ما كان استثمارًا في الأبناء، بحسن تربيتهم، وإشباع احتياجاتهم المادية والنفسية، وتحرِّي أحسن طرق التربية من أجل أن يخرجوا إلى الدنيا عبادًا لله قانتين صالحين، يُصلحون الدنيا، ويُقيمون الدين، ويحسنون إلى آبائهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

وَيُروَى عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرْنَا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزِّيَادَةَ فِي الْعُمُرِ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَإِنَّمَا الزِّيَادَةُ فِي الْعُمُرِ؛ أَنْ يَرْزُقَ اللهُ الْعَبْدَ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً، يَدْعُونَ لَهُ؛ فَيَلْحَقُهُ دُعَاؤُهُمْ فِي قَبْرِهِ**»(٢).

(١) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، والنسائي (٦/ ٢٥١).

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٨٥)، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤١٦): «بسند ضعيف»، وقال الألباني في «الضعيفة»: «منكر»، رقم (٥٣٢٣).

إن وسائل التربية كثيرة ومتنوعة كالتربية بالقدوة، والموعظة، والقصة، واللعب، والمسؤولية، والعادة، والثواب والعقاب، وهذا البحث يتركز حول «فقه[1] التربية بالثواب»، وتعود أهمية البحث إلى كونه يُفَصِّل كيفية إثابة الطفل بهدف إكسابه مهارات، وتقويم سلوكه، وتدريبه على السلوك المحمود، وهذا لا يتم إلا على يد مربٍّ واعٍ يمثل السلطة الضابطة التي يحتاجها الطفل لِتُنَظِّمَ حياته، وترسم له حدود سلوكه، وتشرح له ما يُطلب التزامه به، وتضع له القوانين والضوابط التي يجب عليه اتباعها.

لقد صارت التربية اليوم علمًا وفنًّا له أصوله وقواعده وأساليبه، وهذا العلم ينبغي أن يُكتسب بالتعلم والمدارسة شأن أي علم نافع، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**» الحديث، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**» الحديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ محمد إسماعيل المقدم

استشاري الصحة النفسية

(١) المراد الفقه بالمعنى اللغوي دون الاصطلاحي، أي: العلم بالشيء، ودقة الفهم، ولُطف الإدراك.

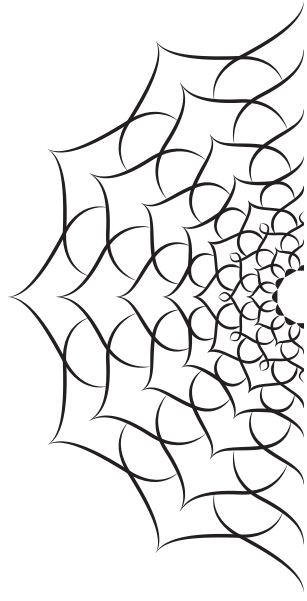

ليس بالعقاب وحده

يُؤَدَّبُ الطفل

ليس بالعقاب وحده يُؤَدَّبُ الطفل

«جرت العادة بمعاقبة الطفل عندما يتجاوز إحدى قواعد الآداب العامة والخلق الكريم. والحكمة من ذلك أن العقاب أيًّا كان نوعه ماديًّا أو أدبيًّا هو أهم عناصر الردع. ولكن هل يمكن الاعتماد على العقاب وحده. كوسيلة للتربية ؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أولًا أن نحدد مفهوم التربية ببساطة. فالتربية تهدف إلى تعويد الطفل علي شيئين هما: الامتناع عن السلوك الخاطئ، والقيام بالسلوك الصحيح. وعلى هذا الأساس فإن العقاب وسيلة يُضطر إليها الوالدان والمربون لمنع السلوك الخاطئ عندما تفشل جميع الوسائل اللينة الأخرى في منع الطفل عن أداء سلوك ردئ.

معنى هذا أن العقاب المتزن قد يفلح في أداء نصف المهمة التربوية وهي منع الخطأ، ويبقى النصف الآخر وهو عمل الصواب. ربما نقول إن التوجيه والنصح وضرب الأمثلة الطيبة هي التي تقوم بهذا النصف الإيجابي من المهمة التربوية. هذا صحيح إلى حد ما. ولكنها لا تفيد كثيرًا بدون عامل آخر يشجع الطفل على التطوع بعمل الصواب. وما دمنا نستخدم العقاب كوسيلة منع وردع، لا بد أن نضع المكافأة في الكفة الأخرى من ميزان تربية الطفل، كعامل تشجيع يغريه بالسلوك الطيب.

تحدث عن أهمية المكافآت والجوائز وأثرها الساحر في تربية الأطفال، الدكتور (فريد سكينار) أستاذ علم النفس التربوي بجامعة هارفارد، والدكتور (سيدني بيجو) مدير

مختبر سلوك الأطفال بجامعة (إلينوي) فقال الأول: «إن الخطأ الذي يقع فيه معظم الآباء والأمهات، ويتسبب في سوء سلوك الأولاد هو أنهم لا يلتفتون إلى الطفل إلا حينما يخطئ فيعاقبونه على الخطأ، أما حينما يقوم بتصرف سليم أو سلوك حسن فإنهم يتجاهلونه، بينما الواجب أن يكافؤوه بسخاء ليكرر السلوك الطيب حتى يصبح عادة متأصلة في نفسه، وأضاف الدكتور (فريد) إلى ذلك، أن الطفل مغرم بجذب انتباه أبويه. وما داموا لا يلتفتون إليه إلا إذا أساء فإنه يسئ ويتعود الإساءة».

«وللدكتور (سيدني) رأي نابع من تجربة طويلة. فهو ينصح الأم بأن تتجاهل الطفل عندما يرتكب أعمالًا رديئة يقصد بها جذب انتباهها، كلما كان التجاهل ممكنًا، والعمل الرديئ محتملًا، وهذا في حد ذاته عقاب، ولكنه يطلب من الأم ألا تفوت فرصة دون أن تكافئ الطفل، ولو كانت المكافأة قبلة أو بسمة أو كلمة تشجيع، وسوف ترى فيما بعد أنها ستخصص ميزانية للمكافآت والجوائز، في الوقت الذي تستغني فيه عن كثير من وسائل العقاب، وسينهال الإطراء عليها من كل جانب لأنها أحسنت تربية ابنها» [1].

- **تعريف الثواب:**

الثواب والعقاب ركنا الجزاءالتربوي، لكننا نبدأ بالثواب لأنه أعمق أثرًا في تعديل السلوك، ولأن الأصل في التربية الإسلامية هو أن تكون بالحب والرفق، ومع ذلك نرى كثيرًا

(١) «كيف تتعاملين مع أبنائك ؟» للأستاذ جمال الكاشف ص (٤٦، ٤٧).

مـن الآبـاء والمربـين ينتبهـون فقـط إلى التصرفـات السـيئة لأولادهـم، ويحاسـبونهم عليهـا بشـدة، ولا يلتفتـون إلى تصرفاتهـم الحسـنة، ولا يكافؤونهـم عليهـا.

إن التربيـة بالثـواب (أو بالترغيـب[1] أو بالتعزيـز[2] Reinforcement) مـن أهـم أسـاليب التربيـة في المنهـج الإسـلامي.

أمـا **الثـواب لغـةً** فهـو الجـزاء، ومـا يُعطـى عـلى سـبيل العِـوَض، وفي «لسـان العـرب»: «أثيبـوا أخاكـم، أي: جـازوه عـلى صنيعـه»

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ٥٩١].

قـال ابـن منظـور: «الثـواب يكـون في الخـير والـشر، وهـو في الخـير أخـص وأكثـر اسـتعمالًا»، وقـال الجُرجـاني: «وغلـب ـ أي: الثـواب ـ عـلى الجـزاء عـلى عمـل الخـير».

واصطلاحًا: هو إجزاء المرء خيرًا على فعل مرغوب فيه.

أمـا في **المصطلـح التربـوي** فيقصـد بالثـواب أو الإثابـة: الـسرور الـذي ندخلـه في نفـس المـتربي عقـب فعلـه أي فضيلـة مـن الفضائـل، لتقـترن بالـسرور باسـتمرار، سـواء كان الـسرور الـذي تدخلـه في نفسـه ماديًّـا أو معنويًّـا.

---

(١) **التعزيز**، تقول: عزَّزت القوم: قوَّيتهم، وشددتهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤].
واصطلاحًا: إكساب الموقف السلوكي لدىٰ الفرد رسوخًا وثباتًا، أو هو عمل هدفه جعل الشيء أكثر قوة.

(٢) **الرغبة**: سَعة الأمل، والطمع في المنفعة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الآية [الأنبياء: ٩٠].
والترغيب اصطلاحًا: تأميل المرء أو إغراؤه بمنفعة عاجلة أو آجلة لقاء طاعة معينة.

فالنفس البشرية ترجو وتؤمِّل، وتخاف وتحذر، بحكم ما فطرها الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وبالتالي فإن الإنسان يتربى بالمثوبة كما يتربى بالعقوبة... ؛ ذلك لأن النفس البشرية تستجيب وتهش للثواب، كما أنها تنزعج وتخشى العقاب [1].

والثواب التربوي: هو أثر يحدثه المربي في المتعلم، فور سلوكه سلوكًا إيجابيًّا، فيسبب له راحة نفسية أو مادية، بهدف دفعه إلى تكرار هذا السلوك الإيجابي، والاستمرار فيه. ومن خلال «التربية بالثواب» يحصل الناشئ على منفعة ـ مادية أو معنوية ـ من جَرَّاء سلوكه سلوكًا مرغوبًا فيه.

معنى التعزيز

هو أي فعل يؤدي إلى حدوث سلوك معين، أو إلى جعله أكثر قوة، أو تكرار حدوثه، وتثبيته بتقديم مُدَعِّم أو مُعَزِّز وهو شيء يحبه الطفل. وهو نوعان:

- **التعزيز الإيجابي:**

حين يضاف عامل (منبه) محبوب لتدعيم سلوك مرغوب فيه وزيادته واستمراره.

ـ **مثاله**: أدت الطفلة واجبها المدرسي فأهدتها أمها لعبة (= تعزيزًا إيجابيًّا) العامل المنبه هو اللعبة، والسلوك المرغوب هو أداء الواجب المنزلي.

(١) انظر: «أهداف التربية الوقائية في الإسلام» للدكتور حسين بن بانبيلة ص (١١١)، «أصول التربية الإسلامية» للدكتور أمين أبو لاوي ص (١٨٩، ١٩٠).

ـ امتدح الأب ابنه لإتقانه السباحة (= تعزيزًا إيجابيًّا) العامل المنبه (المدح)، والسلوك المرغوب هو إتقان السباحة.

- **التعزيز السلبي:**

وهو حض الفرد على التحول عن سلوك غير مرغوب فيه. وهو مناسب لإزالة سلوك سلبي أو خاطئ عن طريق محفز غير محبوب (أو منفِّر).

ـ **مثال:** نظف (زياد) أسنانه بالفرشاة، ورتب سريره بعد استيقاظه، ليتجنب تذمر أمه واحتجاجها.

السلوك المطلوب إزالته: عدم تنظيف أسنانه، وعدم ترتيب سريره.

المنبه الكريه: تذمر الأم واحتجاجها.

ـ تمادت الطفلة في التشبث بوضع زجاجة الرضاعة في فمها رغم كبرها، فوضعت الأم عليه مذاقًا مُرًّا، فنفرت منها، ولما تكرر ذلك هجرتها تمامًا[1].

السلوك المطلوب إزالته: تشبثها بزجاجة الرضاعة.

المنبه الكريه (المنفر): المذاق المر.

(١) المقصود هنا ضرب مثال للتوضيح، ولا يعني هذا إقرار الفطام الصادم المفاجئ للطفل الرضيع.

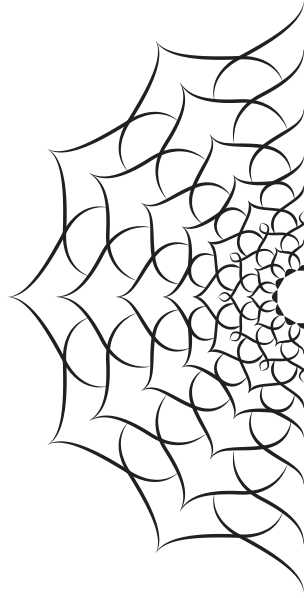

ترجيح
الثواب على العقاب

ترجيح الثواب على العقاب

إيجابيات العقاب محدودة في مقابل سلبياته، والثواب ـ عمومًا ـ أعظم فائدة من العقاب، «ولهذا توجّهت التربية الحديثة، من خلال العديد من الدراسات العلمية ـ إلى تفضيل أساليب الثواب، والمنع من أساليب العقاب، فلم يبق للعقاب موضع ترحيب في الأوساط التعليمية الحديثة، لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى ؛ فقد ظهرت نظريات تربوية تدعو إلى نبذ العنف مطلقًا في التربية، والتركيز على أساليب الثواب فحسب، ضمن ما يُسمى بالحركة التقدمية، باعتبار أن استخدام العقاب في التربية رجعية وتسلطية ؛ إذ لا بد أن تبقى خبرات الطفولة سعيدة غير مؤلمة، وأيدَّت ذلك المبادئ العشرة للإعلان العالمي لحقوق الطفل، التي نَصَّت على ضرورة حماية الطفل من كل أنواع الإهمال والقسوة، واتخذت ـ بناء على ذلك ـ وزارات التربية في العديد من دول العالم ـ لا سيما المتقدمة منها ـ قراراتها بمنع العقوبة البدنية مطلقًا، سواء كان ذلك لتعديل سلوك الطالب، أو تحفيزه للتحصيل الدراسي، حتى إن هذه الموجة التسامحية طالت مؤسسات المجتمع العقابية التي تعتقل المجرمين.

ولم تكن الكتابة التربوية بعيدةً عن هذا الحَراك العلمي الذي دام قريبًا من خمسين عامًا، حتى صرّح جمع من التربويين، بعبارات واضحة لا لبس فيها بضرورة الإعراض مطلقًا عن أساليب العقاب البدني، باعتباره غير مُجْدٍ في العملية التعليمية، ولا نافعٍ في العملية الإصلاحية،

في مقابل الإيجابيات الكبيرة التي يُحدثها الثواب في العملية التعليمية، والإصلاح التربوي، من جهة أن الثواب:

١- يطول أثره في نفس التلميذ وفي سلوكه أكثر من العقاب.

٢- يساعد التلميذ على تكرار العمل الجيد. والتعوُّد عليه.

٣- أوضح لفهم التلميذ من العقاب ؛ لأنه يحدد له مدى ملاءمة سلوكه وأنشطته للمعايير الصحيحة.

٤- يولّد عند التلميذ حالات انفعال سارة، وارتياح وِجداني، وشعورًا بالرضا.

٥- يعطي التلميذ مزيدًا من الثقة في نفسه، ويُشْعِره بالفخر، ويدفعه إلى نجاحات أخرى، ويضمن قيامه بالاستجابة الصحيحة في مناسبة مقبلة.

٦- يبعث المحبة في نفس التلميذ تُجاه المعلم [١].

- **تراثنا التربوي الإسلامي يميل إلى الثواب أكثر من العقاب:**

«والمُراجع للتراث التربوي الإسلامي يجد أن الميل نحو الثواب أكبر منه نحو العقاب، وهذا واضح في اتجاهات فقهاء التربية الإسلامية، ومما يشير إلى ذلك توجيه النووي للمعلم في من وجده من التلاميذ حافظًا للدرس، فيقول: (فمن وجده حافظه، مراعيًا له: أكرمه، وأثني عليه، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه).

(١) انظر: «عقوبة التلاميذ البدنية» للدكتور عدنان باحارث ص (٥٦، ٥٧).

ويقول: (ويُظهر فضل الفاضل، ويثنى عليه بذلك، ترغيبًا له وللباقين)، ويقول ابن جماعة في هذا الشأن: (إذا فرغ الشيخ من شرح درس، فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة، يمتحن بها فهمهم وضبطهم، فمن ظهر له فهمُه شَكَره، ومن لم يفهمه تلطّف في إعادته له).

وأوضح من هذا ماروواه عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين كان صغيرًا ـ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مَثَلُ المسلم، حدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة ، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يارسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هي النخلة، قال عبد الله: فحدّثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لَأن تكون قلتها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا) [1].

وفي هذا ثناء وتشجيع يتضمن الإثابة من عمر لولده عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره، وليزداد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حظوة، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم» [2].

(١) رواه البخاري رقم (١٣١).
(٢) انظر: «عقوبة التلاميذ البدنية» ص(٥٧، ٥٨).

الاعتراضات على فكرة الثواب[1]

ولم تكن فكرة الثواب ـ رغم ما حظيت به من التأييد ـ لتمضي دون اعتراض وضبط، فقد يكون أسلوب الثواب غير المقنَّن مُضِرًّا بالتلميذ، ومعاكسًا لمصلحته، فلا يؤدي الغرض التربوي المنشود، الذي من أجله قُدِّم على أسلوب العقاب.

و من الاعتراضات التي سُجِّلت في ذلك أن الثواب:

١- يتحوَّل إلى رشوة، فلا يتحرك التلميذ لواجباته المفروضة إلا بها.

٢- يدفع التلميذ إلى الغش والاحتيال في الاختبارات والمسابقات للحصول على المكافآت.

٣- يحوِّل سلوك الطفل واستجاباته إلي قيم مادية.

٤- يجعل من التلميذ حيوانًا خاضعًا لمجموعة جامدة من العادات الصماء.

٥- يهمل التلاميذ المخفقين والمتعثرين، ممن لم يتأهلوا لنيل المكافآت، فهؤلاء في حاجة ملحَّة للرعاية التربوية، والمراعاة النفسية [2].

ومن بين هذين الاتجاهين المتعارضين: برز اتجاه ثالث توسَّط بينهما، قد بُني على معطيات علمية، وتأملات في الواقع التربوي والتطبيقي، يُخطِّئ التربية الحديثة في غلوها المُفْرِط تجاه الثواب، وكفِّها المطلق لأساليب العقاب، فبعد نصف قرن من العمل الجاد لنقل

(١) انظر: «عقوبة التلاميذ البدنية» ص(٥٨-٦٠).

(٢) انظر: «الاعتراضات علىٰ الثواب المادي والرد عليها» (ص ١٠٧-١١٤).

أساليب التربية من العقاب إلى الثواب: خفَّت لأواء هذا الاتجاه، وضعفت حدَّته، ليقرب بعض الشيء نحو الاعتدال والتوسط بين الاتجاهين.

وفي ذلك يقول أحد رجال التربية الغربيين: «إن الخبرة علَّمتنا أن الحرية التامة، والامتناع عن معاقبة الطفل مهما فعل... إنما هو أسلوب خاطئ في التربية؛ إذ لا بد من اللجوء إلى القصاص الجسدي أحيانًا، مع الاتزان والاعتدال»، ولما رفع أحدهم دعوى ضدَّ معلم لطم ولده على ظهره، ووجَّه وجهه تجاه جدار الغرفة: لم تقبل المحكمة دعواه، وقالت: «إن حالة المدارس لا تسر، ويجب وضع حدٍّ للفوضى التي انتشرت بين الطلاب، وعلى المسؤولين عن التعليم أن يلجؤوا إلى شيء من الحزم في معاملة التلاميذ».

الوسطية
بين الثواب والعقاب

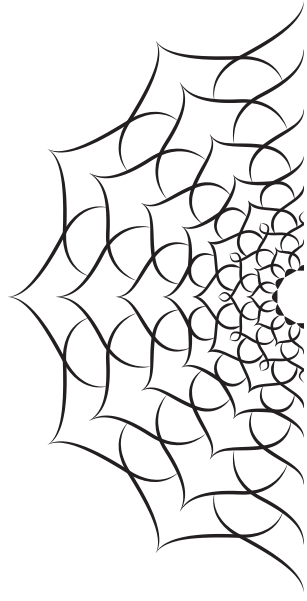

الوسطية بين الثواب والعقاب

إن التوسط بين طرفي التناقض والاختلاف غالبًا ما يكون اختيار الوجهة الإسلامية ومرشَّحَها، فإن (كلا طرفي قصد الأمور ذميم)، والله تعالى وصف أمة الإسلام بالوسط: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ الآية [البقرة: ٣٤١].

وهذا وصف شامل لكل جوانب شخصية الأمة، وكل ما يتعلق بها من: العقائد، والمفاهيم، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق.

يقول الكلبي المفسِّر: «يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير ؛ لأنهما مذمومان في الدين»، ومسألة الثواب والعقاب، أو ما يُعرف في الشرع بالترغيب والترهيب: تدخل ضمن مفهوم وسطية الأمة في تعاملها التربوي مع الإنسان بصورة عامة، ومع الطفل بصورة خاصة، والتلميذ بصورة أخص [١].

(١) انظر المصدر نفسه ص(٥٩، ٦٠).

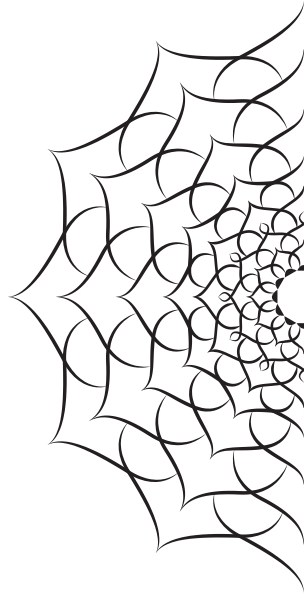

الحاجة إلى
الثواب التربوي

الحاجة إلى الثواب التربوي[1]

إن الإنسان بطبعه محتاج إلى الثواب، لتأكيد الشعور بلذة الصواب، وتعزيز أثره الجالب للفرح النفسي والرضا الاجتماعي، وهذا الأثر يظهر من خلال الشعور بالفوز والنجاح، ولو حللنا هذا الشعور، لوجدنا أن من مؤثراته نظرة الإعجاب الاجتماعي، من قِبَل الأب والأم والآخرين، والمعلم أقرب الآخرين إلى التلميذ بحكم أبوته التعليمية، في تقديم هذا الثواب إلى التلميذ، لتدعيم الموقف التعليمي يوميًّا.

ولا يُظن أن الثواب أمر ثانوي، أو نافلة من نوافل العمل التربوي، لأننا لو فعلنا ذلك، أسقطنا الفرح النفسي، والشعور بالرضا الداخلي لدى المتعلم من الحسبان، وبهذا نحكم على الموقف التعليمي الجيد للتلميذ بالبوار والفشل، لأنه لا نجاح بلا رغبة، ولارغبة بلا فرح ولذة ورضا وسرور، وهذه الأمور لا تعني إحساسات مادية، بقدر ما هي مشاعر نفسية يحققها الشعور بالثواب الدال على تحقق الأمان الداخلي والأمن الخارجي، حتى ولو افترضنا ذلك على المستوى الشعوري.

يقول شمس الدين الإمبابي: «مهما ظهر منه خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يُكرَم عليه ويجازى عليه، مما يفرح به ويُمدح بين الناس».

(١) انظر: «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب» للأستاذ محمد نبيل كاظم ص(١١، ١٢).

فوائد التربية بالثواب

١- تثبيت السلوك الحسن وزيادته، وقد أكدت نظريات علم النفس في مجال التعليم على دور الإثابة والتشجيع في تعزيز السلوك الايجابي للطفل.

٢- أفضل طريقة لصد الطفل عن السلوك السيء هي تشجيعه على السلوك الحسن.

٣- وقد يكون الثواب أحيانًا على ظهور تراجع في السلوك المرذول، والحدِّ منه، أو إعدامه تمامًا.

٤- تحريك الدافعية، وزيادة القابلية نحو التحسن السلوكي والتقدم والإنجاز [١].

٥- شعور الأبناء بالتقدير ممن يُرَبُّونهم يزيد احترامهم لأنفسهم، وثقتهم بها، ويشجعهم على اعتياد السلوك الحسن.

(١) وذلك بخلاف الأثر السلبي للنظرة الحيادية المتساوية لجهدهم، فإنها تطفئ الحماس، وتثبط الدافعية، قال بعض الباحثين: «يخفق الناس في التعلم إذا لم يُثابوا» كما في «تعليم بلا عقاب» للدكتور محمود إسماعيل عمار ص (١١٦).

مقومات نجاح
التربية بالثواب

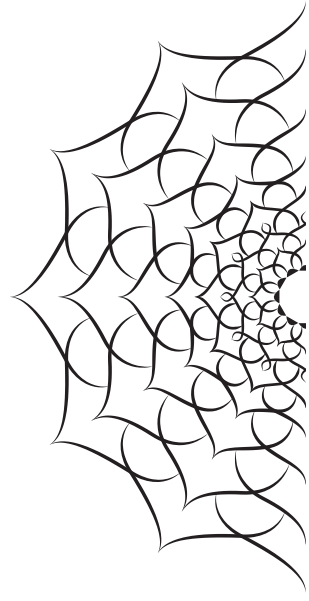

مقومات نجاح التربية بالثواب[1]

للتربية بالثواب مقومات يتوقف عليها نجاحها، ويتسبب غياب هذه المقومات في ضياع الفوائد التربوية المطلوبة، بل فقدان الثقة بالمربي، وإحباط الناشئ، وهاكَ أهمها:

١ - المصداقية:

يتحتم على المربي - إذا وعد الطفل أن يكافئه مكافأة محددة إذا أنجز سلوكًا ما - أن يفي بوعده مهما كلَّفه ذلك[2]، ما دام الطفل قد أنجز ما عليه.

فإن الله تعالى امتدح رسوله إسماعيل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فقال عزوجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤].

قال العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: «أمر الله جَلَّوَعَلَا نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في هذه الآية الكريمة أن يَذكر في الكتاب، وهو هذا القرآن لعظيم (جَدَّه إسماعيل)، وأثنى عليه - أعني إسماعيل - بأنه كان صادق الوعد وكان رسولًا نبيًّا. ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده: أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه، ثم وفى بهذا الوعد. ومن وفى بوعده في تسليم نفسه للذبح ؛ فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في

(١) انظر: «أصول التربية الإسلامية» ص(١٩٩) وما بعدها.

(٢) فعلىٰ المربي أن يتفكر مليًّا قبل أن يعد الطفل بمكافأة، وبخاصة المادية منها، كي يستوثق من قدرته علىٰ الوفاء بها، وعدم الحنث في وعده.

وعـده، قـال تعـالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ٢٠١] فهـذا وعـده. وقـد بـين تعـالى وفـاءه بـه في قولـه: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ الآيـة... وثنـاؤه جَلَّ وَعَلَا في هـذه الآيـة الكريمـة عـلى نبيـه إسـماعيل بصـدق الوعـد يُفهَـم مـن دليـل خطابـه ـ أعنـي مفهـوم مخالفتـه ـ أن إخـلاف الوعـد مذمـوم.

وهـذا المفهـوم قـد جـاء مبينًـا في مواضـع أخـر مـن كتـاب الله تعـالى؛ كقولـه تعـالى: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧]، وقولـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصـف: ٢، ٣] اهـ[1].

والمَقْتُ الكبـير مـن الله عـلى عـدم الوفـاء بالقـول يـدل عـلى التحريـم الشـديد في عـدم الوفـاء به.

وعـن عبـد الله بـن عامـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: دعتنـي أمـي يومًـا ورسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعـد في بيتنـا، فقالـت: هـا تعـالَ أُعطِيـك، فقـال لهـا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومـا أردتِ أن تعطيـه ؟**» قالـت: أعطيـه تمـرًا، فقـال لهـا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمـا إنـك لـو لم تعطيـه شـيئًا، كُتِبـتْ عليـكِ كِذْبـة**»[2].

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٢٩٩).

(٢) رواه أبـو داود في «سـننه» رقـم (٤٩٩١)، وصححـه الألبـاني في «الصحيحـة» رقـم (٧٤٨)، ورواه الإمـام أحمـد في «المسـند» رقـم (٩٨٣٦) بلفـظ: «**مـن قـال لصبـي: تعـالَ هـاكَ، ثـم لـم يعطـه؛ فهـي كِذْبـة**»، وقـال المحققـون: «إسـناده صحيـح علـى شـرط الشـيخين» (١٥/ ٥٢٠).

وإذا كذب المربي، فإنه ولا شك تسقط هيبته عند طفله، ويسقط أثر كلامه في نفسه، ويفقد الثقه فيه، وربما شجَّعه ذلك بدوره على أن يكذب اقتداءً به، كما أنه يُحبط الطفل، وقد يمنعه من بذل المزيد من الجهد فيما بعد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1]، فكون إخلاف الوعد من علامات المنافق، يدل على أن المسلم لا يجوز له أن يتسم بسمات المنافقين.

وقد رُوي عن الحسن البصري: أن امرأة سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا فلم تجده عنده، فقالت: عِدني، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العِدَة عطيَّة**»[2] أي أن الوعد كالعطية، فكما أنه لا يحسن الرجوع في العطية، ولا يحسن الخُلْفُ في الوعد.

وُرِوِيَ مسندًا من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إذا وعد أحدُكم حبيبه ؛ فلينجز له، فإني سمعت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**العِدة عطية**»[3].

ورُوِي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**العِدَة دَيْنٌ، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف**»[4].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم (٥٩).

(٢) انظر تضعيفه في «السلسلة الضعيفة» للألباني رقم (١٥٥٤).

(٣) قال ابن أبي حاتم في «العلل»: «سمعت أبي يقول: هذا حديث باطل» (٢/ ٤٣٧).

(٤) ضعفه الألباني ـ قدَّس الله روحه، ونور ضريحه ـ في «الروض النضير» (٦٢٠)، وفي «ضعيف الجامع» رقم (٣٨٥٨).

وقولـه: «**العِـدَة**» أي للغـير بـأي أمـرٍ «**دَيْـن**» أي هـي في مـكارم الأخـلاق كالدَّيْـن في لـزوم الوفـاء بهـا.

وقولـه: «**ويـل**» أي: حـزن وهـلاك «**لمـن وعـد ثـم أخلـف**» لمـا في الخُلـف مـن الانكسـار والرجـوع عنـه مـن الخيبـة، بعـد تجـرع مـرارة الانتظـار , فالمُخْلِـف يسـتوجب بالمنـع لـوم الخلـف، ومَقْـتَ الغـادر، وهُجْنَـةَ الكَـذوب [1].

قال الشاعر:

إِذَا قُلْـتَ في شَيءٍ «نَعَـمْ» فَأَتِمَّـه ... فـإِنَّ «نَعَـمْ» دَيْـنٌ عَـلَى الحُـرِّ وَاجِـبُ

وإِلاَّ فَقُـلْ «لَا» تَسْـتَرَحْ وتُـرِحْ بِهَـا ... لِئَـلَّا يَقُـولَ النَّـاسُ إِنَّـكَ كَاذِبُ

آخـر:

لَا كَلَّـفَ اللهُ نَفْسًـا فَـوْقَ طَاقَتِهَـا ... ولَا تَجُـودُ يَـدٌ إِلَّا بِمَـا تَجِـدُ

فَـلاَ تَعِـدْ عِـدَةً إِلا وَفَيْـتَ بِهَـا ... واحْـذَرْ خِـلَافَ مَقَـالٍ لِلَّـذي تَعِـدُ

والحاصـل: أنـك إذا وعـدت الطفـل بـشيء في مقابـل سـلوك جيـد أو مسـاعدته في البيـت، يجب أن تكـون عـلى اسـتعداد للوفـاء بوعـدك مهـما كلفـك ذلـك، فالأطفـال يتعلمـون مـن خـلال ذلـك الثقـة فيـك وبأنهـم سـيحصلون عـلى المكافـآت التـي تعدهـم بهـا إذا هـم قامـوا بـما هـو مطلـوب

(١) انظر: «فيض القدير» (٤/ ٣٧٧).

منهم. أما إذا خيبتَ ظنهم فلن يكون هناك ما يضمن لك أن يتصرفوا بنفس الطريقة التي تصرفوا بها مرة أخرى. فإذا لم تكن المكافآت واضحة ومتاحة ؛ فإنه لن يكون لديهم حافز حقيقي يشجعهم على القيام بما ترغب فيه.

- **تنبيهات:**

الأول: يجب أن تهدف المكافآت إلى تعزيز قيمةٍ تربوية واضحة، وأن يكون السلوك المستهدف واضحًا ومعينًا ومحددًا، وأن يُرفق تسليمه المكافأة ببيان السبب المستوجِب لها.

الثاني: يغفل الآباء أحيانًا فيكافؤون الطفل على سلوكه السلبي وهم لا يشعرون:

ـ **مثال:** طفل يرفض أن ينام في موعد النوم، فيخرج من حجرته، وأنت تعيده إليها، فيخرج ثانيةً، ثم تعيده إليها، ويتكرر هذا التصرف منكما.

هل تعلم أنك في الواقع تكافئه على خروجه من الغرفة، والمكافأة هنا هي حصوله على المزيد من انتباهك إليه واهتمامك به.

ـ **الحل هنا:** أن تفكر جيدًا في الموقف، وتستخرج طريقة لتكافئه إن هو مكث في سريره، وليس إن خرج من الحجرة.

إن هذا النوع من المكافأة (الانتباه) يتكرر خلال اليوم، وعليك أن تتأكد أنك تعطيه المكافأة الصحيحة بالطريقة الصواب في الوقت المناسب، مع توضيح السلوك المطلوب منه وإبرازه حتى يتمثله أكثر، ويفعله بصورة أحسن.

الثالث: احذر أن تسلمه المكافأة أو الهدية، ثم تسحبها منه لتُهدِيها لشخص آخر لأي سبب.

٢- المساواة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ الآية [الحجرات: ٩].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن المُقْسِطينَ عند الله علىٰ منابرَ من نور عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**»[(١)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رجلٌ جالسٌ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاءه ابن له، فأخذه، فقبَّله، ثم أجلسه في حِجْرِه، وجاءت ابنة له، فأخذها إلى جنبه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا عدلتَ بينهما ؟!**»[(٢)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَوُّوا بين أولادِكم في العطية، فلو كنتُ مفضِّلًا أحدًا لفضلتُ النساءَ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧)، واللفظ له، والنسائي (٨/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) رواه البزار في «مسنده»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» رقم (٢٨٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخرجه سعيد بن منصور، والبيهقي من طريقه، وإسناده حسن» اهـ. من «فتح الباري» (٥/ ٢١٤).

وروى البخاري بسنده إلى النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن أباه أتى به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إني نَحَلْتُ ابني هذا غلامًا»، فقال: «**أَكُلَّ ولدك نحلتَ مِثْلَه ؟**» قال: «لا»، قال: «**فأرجعه**».

وروى أيضًا بسنده عن حُصين بن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو على المنبر، يقول: «أعطاني أبي عطيةً، فقالت عَمرة بنتُ رَواحة: «لا أرضى حتى تُشْهِدَ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فأتى رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً، فأمرتني أن أُشْهِدَكَ يارسول الله»، قال: «**أعطيتَ سائر ولَدِك مِثْلَ هذا ؟**»، قال «لا»، قال: «**فاتقوا الله، واعْدِلوا بين أولادكم**»، قال: «فرجع، فَرَدَّ عَطِيَّته»[1].

ولمسلم من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب، قال: «فارددْه»، وفي رواية الشعبي: قال «فرجع، فرد عطيته».

ولمسلم: «فرد تلك الصدقة»، وزاد في رواية أبي حيان في «الشهادات»: قال: «لا تشهدني على جَوْرٍ».

ولمسلم في رواية أبي حيان أيضًا: «فقال: **فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد علىٰ جَوْرٍ**»، وله في رواية داود بن أبي هند: «**فأشهِدْ علىٰ هذا غيري**»، وفي حديث جابر: «**فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا علىٰ حق**».

(١) رواه البخاري (٥/ ٢١٠، ٢١١) ط. السلفية، ومسلم (١٦٢٣)، وأبو داود (٣٥٤٢) إلىٰ (٣٥٤٥)، والترمذي (١٣٦٧)، والنسائي (٦/ ٢٥٨-٢٦١).

وفي روايـة عـروة عنـد النسـائي: «**فكـره أن يشـهد لـه**»، وفي روايـة المغـيرة عـن الشـعبي عنـد مسـلم: «**اعدلـوا بيـن أولادكـم في النُّحْـل، كمـا تحبـون أن يعدلـوا بينكـم في البـر**».

وفي روايـة مجالـد عـن الشـعبي عنـد أحمـد: «**إن لبنيـك عليـك مـن الحـق أن تعـدل بينهـم، فـلا تشـهدني علىٰ جـور، أيسـرك أن يكونـوا إليـك في البـر سـواء ؟**» قـال: «بـلى»، قـال: «**فـلا إِذًا**».

ولأبي داود مـن هـذا الوجـه: «**إن لهـم عليـك مـن الحـق أن تعـدل بينهـم، كمـا أن لـك عليهـم مـن الحـق أن يبـروك**».

وللنسـائي مـن طريـق أبي الضحـى: «**ألا سَـوَّيْتَ بينهـم ؟**»، ولـه ولابـن حبـان مـن هـذا الوجـه: «**سَـوِّ بينهـم**»[1].

وعن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كانوا يستحبون أن يُسَوُّوا بين أولادهم حتى في القُبَل»[2].

وعـن عمـر بـن عبـد العزيـز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنـه ضـم ابنًـا لـه وكان يحبـه، فقـال: «يـا فـلان! والله إني لأحبـك، ومـا أسـتطيع أن أوثـرك عـلى أخيـك بلقمـة»[3].

وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان؛ كُتب من الظلمة»[4].

---

(١) جمع هذه الرواياتِ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٥/ ٢١٣، ٢١٤)، وقد نقلناها هنا بتصرف يسير.

(٢) «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٨/ ٢٤).

(٣) «نفسه» (٨/ ٢٤).

(٤) «نفسه» (٨/ ٨٤).

إن النصوص الآنفة الذكر تؤسس لمفهوم المساواة والعدل بين الأولاد بصفة عامة، فماذا عن المساواة بينهم عند الإثابة ؟

إن «الإثابة» تأتي في مقابلة إنجازٍ ما يحققه الطفل أو التلميذ، والمساواة في هذا السياق تعني أنه يساوَى بينهم في الثواب [1] إذا أنجزوا السلوك نفسه، وتعني أيضًا المساواة في العطاء التعليمي دون تمييز بسبب كنسب أو مكانة اجتماعية، بل يلتزم العدل والإنصاف.

فإن كان للأب أو الأم أكثر من ولد واحد وكانوا متقاربين في السن، أو كان عدهما ذكور وإناث، فلا بد من تحقيق المساواة في الثواب عند تساوي السلوك، كما لا يجوز أن يثيب أحدهم ولا يثيب الآخر، لا سيما إذا استحق الثواب، وإذا أثاب واحدًا منهم على شيء فليثب الآخر ـ إن هو فعله ـ بنفس المقدار، وما يقال في الأب والأم، يقال للمعلم [2] لا سيما وأن هذا المجال عند المعلم أرحب، والحاجة إلى المساواة أشد، وعدم تحقيق المساواة في الثواب بين التلاميذ يُفْقِدُ المعلمَ ثقةَ تلاميذه بإنصافه، ومن ثَمَّ يفقد مكانته عندهم، وينشأ عن ذلك تناقصُ فاعلية التربية، وتراجع تأثير المعلم في سلوك التلاميذ [3].

(١) بمعنىٰ أن يساوي بينهم في (مبدأ) الثواب، دون أن يستلزم ذلك المساواة في (نوع) الثواب، لأن ذلك يخضع للفروق الفردية بين الأطفال، انظر: (ص ٦٠).

(٢) فلا تُهْدِ أحدهم هدية دون الآخرين، ولا تسلم عليه دونهم، وإن صافحته فصافح سائرهم، وإذا مدحت هذا وأثنيت عليه لفعل جيد، فافعل هذا مع سائرهم إذا أتوا الفعل نفسه.

(٣) انظر: «أصول التربية الإسلامية» ص(١٩٩، ٢٠٠).

قال الإمام ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق ذكره حق الطالب على المعلِّم:

«أن لا يُظْهِرَ للطلبة تفضيلَ بعضِهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة، فإنّ ذلك ربما يوحش منه الصدر، وينفِّر القلبَ، فإن كان بعضهم أكثر تحصيلًا وأشد اجتهادًا أو أبلغ اجتهادًا أو أحسن أدبًا فأظهر إكرامه وتفضيله، وبَيَّنَ أن زيادة إكرامه، لتلك الأسباب فلا بأس بذلك لأنه ينشِّط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات»[1].

٣- الاعتدال:

يراد بالاعتدال في مجال التربية بالثواب أن تكون المكافآت متدرجة في قيمتها المالية والمعنوية، مع مراعاة عدم الإفراط والتفريط في الثواب، لأن المبالغة في الثواب، وتعظيم الأمر من غير استحقاق ينشأ عنه استخفاف الناشئ بالمعايير، وعدم الوثوق بقدرة المربي على التقويم، حتى لو كان الثواب لصالح الناشئ، فإنه يدرك جيدًا متى يكون الثواب زائدًا عما يستحقه، وما يقال عن المبالغة في الإجزاء يقال في الإقلال المُخِلِّ، كأن يعلن عن مسابقة حفظ سورة البقرة، ثم يثيب من أتقنها بأن يقال له: «بارك الله فيك»، فحسب، أو يُعطَى هدية لا تناسب ذلك من جهة قيمتها المادية أو الرمزية.

(١) «تذكره السامع المتكلم» ص (٥٩).

ـ كما ينبغي عدم الإفراط في المكافآت المادية [1]، بل يفضل التقليل منها قدر الإمكان سواء أكانت حقيقية كالجوائز والهدايا من كتب وألعاب وصور، أم رمزية كبطاقاتِ وأوسمةِ الامتياز والتفوق وغيرها.

ـ كذلك ينبغي تجنب المكافآت المتوالية المتتابعة، بل لا بد من تراخٍ زمني مناسب بين كل مكافأة وأخرى، فإن طول المدة بين المكافأتين ـ نسبيًّا ـ يجعل الطفل مشتاقًا إليها، بخلاف ما لو تتابعت المكافآت في فترة قريبة.

٤- الواقعية:

ينبغي أن يكون الثواب على سلوك قد وقع فعلًا، ولا يصلح أن يثاب الناشئ على سلوك لم يفعله، ولكن في حالات خاصة وضيقة يمكن أن يثاب على تصريحه بنيته للقيام بالسلوك، لتكون الإثابة في هذه الحالة عنصر حَثٍّ ودفع باتجاه السلوك، لا سيما إذا كان الناشئ في حالة تقتضي التشجيع والتعزيز، وفي غير ذلك لا يصار إلى الثواب لئلا يكون نوعًا من العبث المفضي إلى السخرية، وتفريغ الأسلوب التربوي من مضمونه.

ـ ولا يثاب الطفل إلا إذا أتى بالفعل عملًا جيدًا متميزًا فوق مستوى ما عمله زملاؤه، فإن المكافأة هنا لا تقتصر على إعلان تقدير المربي لإنجازه فحسب، بل تعكس شعور الجميع بالموافقة والاستحسان العام لإنجازه.

(١) لأن هذا الإفراط يكتنفه مخاطر تعويده على الإسراف أو التبذير، أو الاتكالية، أو تورطه في التدخين وما إليه، وكذا كسر قلوب أقرانه من الفقراء.

٥- التعجيل:

أفضل وقت للثواب أن يكون عقب الفعل أو القول مباشرة، أي في خلال عدة ثوانٍ ؛ لأن سرعة الإثابة تُحدث أكبر الأثر في نفس الطفل[١].

إن الإثابة تزيد من دافعية الطفل نحو العمل، وتحفزه على التعلم، وبخاصة إذا كان الطفل يتسم باللامبالاة، أو السلبية، كما أن التربية بالثواب تُكسِبه الاستبصارَ بالسلوك الصحيح، لأنه ينال المكافأة عقبه مباشرة بدون تردد، ولا تأخير، ولا مماطلة، فيربط النتيجة الفورية (المكافأة) بسببها الحالِّ (السلوك الحسن)، وهذا يشجعه على تكراره والثبات عليه.

إن التعجيل بإعطاء المكافأة فورًا بدون تأجيل ولا مماطلة مطلب شائع في السلوك الإنساني عند الكبار والصغار معًا، ولهذا المعنى قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطوا الأجير أجرَه**[٢]، **قبل أن يَجِفَّ عرقُه**»[٣].

---

(١) والمكافأة التي تُعطىٰ عند استحقاقها بدون تأجيل تؤثر بصورة أفضل مع صغار السن، والأطفال المندفعين، أو الذين لا يستطيعون الانتظار، بخلاف الأطفال الأكبر الذين يمكنهم أن يؤجلوا الإشباع لوقت طويل، ويحتفظون ـ مع ذلك ـ بدافعيتهم ويَسْتَبْقُونها.

(٢) لأن أجره عمالة جسده، وقد عجَّل منفعته، فإذا عجَّلها استحق تعجيل حقه، ومن شأن البائع إذا سلَّمك السلعة أن تسلمه الثمن، فالأجير أحق وأولىٰ، لأن الأجر ثمن مهجته لا ثمن سلعته، فيحرم مطله والتسويف به مع القدرة، فالأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه كناية عن وجوب المبادرة عقب فراغ العمل إذا طلب، وإن لم يعرق، أو عرق وجَفَّ.

(٣) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٤٤٣)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» رقم» (١٤٩٨).

قال الشاعر:

تَعجِيلُ وَعْدِ الْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ ... تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ الذِّكْرِ
وَالحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... وَلَا يَلِيقُ الْمَطْلُ بِالحُرِّ

آخر:

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ ... لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ تَمَامِ
أَنْعِمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكَرُّمًا ... فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الإِنْعَامِ

- **مثالان للمكافأة الفورية:**

الأول: قال الأديب اللغوي ابن دريد صاحب كتاب «جمهرة اللغة»: كان أبو عثمان الأشناندانى معلمي، وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه، فدخل يومًا عمي؛ وأبو عثمان يروينى قصيدة الحارث بن حِلِّزَة؛ التي أولها:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسماءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

فقال لي عمي: «إذا حفظتَ هذه القصيدة، وهبتُ لك كذا وكذا»، ثم دعا المعلم؛ ليأكل معه، فدخل إليه، فأكلا؛ وتحدثا بعد الأكل ساعة، فإلى أن رجع المعلم؛ حفظتُ ديوانَ الحارثِ بنِ حِلِّزَة بأسره، فخرجَ المعلمُ؛ فَعَرَّفتهُ ذلك، فاستعظمه، وأخذ يعتبره عليَّ، فوجدني قد حفظتُه، فدخل إلى عمي؛ فأخبره؛ فأعطاني ما كان وعدني به»[1].

(١) انظر: «مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتنوخي (٢/ ٢٩٤).

الثاني: لقد نشأ المتنبي شاعر العرب الفَحْلُ في أسرة فقيرة غير متعلمة، لكن الله قيَّض له فرصة التعليم المجاني في كُتَّاب خاص بأبناء أشراف الكوفة، وشجَّعه أصحاب المكتبات على قراءة الكتب دون مقابل، ومن صور المكافأة الفورية أنه رُوي أن وراقًا كان يلازمه قال: كان اليوم عندي ـ أي المتنبي ـ وقد أحضر رجل كتابًا في نحو ثلاثين ورقة ليبيعه، فأخذه أبو الطيب، ونظر فيه طويلًا، فقلت له: «ما هذا؟ أريد بيعه، وقد قطعتني عن ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر إن شاء الله»، فقال المتنبي: «إن كنتُ حفظتُه هذه المدة؟»، قلت: «أَهَبُ لك الكتابَ»، قال: «اسمعها مني»، فأخذ الدفتر من يده، وأقبل يتلوه حتى انتهى إلى آخره[1].

● **تنبيهان:**

الأول: أن تأخير الثواب لأكثر من عدة ثوان يُعتبر تأخيرًا لتدريب الطفل على السلوك المطلوب، ولكن إن قمنا بمدح الطفل، ومنحناه الابتسامات لحين إحضار المكافأة، فقد يعالج تأخيرها لثوان أو دقائق قليلة.

الثاني: قد يتأخر الثواب عن وقت السلوك الحسن، ويتفق وقت إثابته (المتأخر) مع وقتٍ يمارس فيه الطفل سلوكًا سيئًا، فإن أثيب ـ والحالة هذه ـ فإن ذلك قد يدعِّم السلوك السيء، فكأنها مكافأة غير مقصودةعلى السلوك السلبي.

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ١٦٥، ١٦٦) ط. دار الغرب الإسلامي، و«لسان الميزان» (١/ ١٤٤) ط. مكتب المطبوعات الإسلامية.

٦- التنويع:

الحوافز الفعالة تفجر الطاقاتِ الكامنةَ، ولكي تكون فعالة لا بد أن تكون متعددة الألوان، مختلفة الأصناف.

ومن ثم:

- ينبغي تنويع صور الإثابة [١] من حين لآخر، لأن الطفل حين يتشبع بلون واحد من الثواب المتكرر [٢]، فإنه سوف يَمَل، ويصبح الثواب شيئًا عاديًّا، ولن يتشجع لفعل السلوك المطلوب إذا وُعِد بهذه المكافأة «المُمِلة».

ـ ولا مانع من أن تمنح الطفل ـ أحيانًا ـ حق اختيار المكافأة، وبخاصة إذا كان يحب أشياء كثيرة، ومن شأن هذه الخطوة أن تمنحه الثقة، وتعزز سلوكه الإيجابي.

---

(١) فللإثابة أنواع كثيرة معنوية أو اجتماعية أو أنشطة، أو مكافأة مادية، ويمكن أن تكون مدحًا وثناءً، أو مشاركة له في الرسم أو اللعب، أو بعض الامتيازات كمزيد من الوقت مع الكمبيوتر، أو مزيد من القصص، أو حتىٰ مجرد الانتباه له والاهتمام به، علىٰ ما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وحتىٰ تكون المكافأة مؤثرة أكثر لابد أن لا تكون من الأشياء المتوفرة له بالفعل ومجانية. وعلىٰ سبيل المثال: الجلوس أما الشاشة يحفز كثيرًا من الأطفال، لكن لو كان هو بالفعل يجلس أمامها وقتًا طويلًا غير محدود فلن تصبح رؤية الشاشة محفزة له علىٰ تحصيل هذه المكافأة.

(٢) فالمطلوب تجنب حصول هذا التشبع Satiation بنوع معين من المكافأة، ويتم هذا بأن تكتب قائمة Reward Menus تتضمن خيارات متعددة متنوعة، لكي يختار من بينها، وتكون ملحوظة أمامه كمذكِّرٍ بصري يثير الصورة الذهنية (Visual reminder).

ومما يؤثر في فَعَّالية الثواب في توجيه السلوك:

- أن تكون المكافأة محبوبة ومرغوبًا فيها من جهة الطفل، متناسبة مع اهتماماته، وحاجاته النفسية والمادية، كي تكون دافعًا له كي يبذل جهدًا من أجل تحصيلها، وأن يكون المربي مستريحًا لها.

- لا بد من مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال عند اختيار (نوع) المكافأة وحجمها، فكل طفل حالة متفردة، ولكل حالة ما يناسبها من أساليب الثواب، وكل طفل يختلف عن غيره في مدى استجابته لأسلوب الإثابة، وما يُهدى للصغير يختلف عما يُهدى للابن الكبير، وما يُهدى للابن قد لا يناسب ما يُهدى للبنت، وربما ناسَبَ بعضَ الأطفال أن تكون الهدية قابلة للتخزين والحفظ مدة طويلة.

وإذا كان الطفل يفضل الإثابة الاجتماعية ويتأثر بها، فإنها تُعطى أولية على ما عداها.

- ومن غير المقبول تربويًّا حين يسلك الأطفال سلوكًا حسنًا أن يثابوا جميعًا بدرجة واحدة، وبجائزة موحدة دون مرعاة الفروق الفردية بينهم.

● **فائدة:**

من عجائب الفروق الفردية ونوادرها ما حكاه شيخٌ لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال لي أبوه، وهو ـ أي شيخ الإسلام ـ صبي: «أُحِبُّ إليك أن توصيه، وتعده بأنك

ـ إن لم ينقطع عن القراءة والتلقين ـ أدفع إليك كل شهر أربعين درهمًا»، قال: ودفع إليَّ أربعين درهمًا، وقال: «أعطه إياها، فإنه صغير، وربما يفرح، فيزداد حرصه في الاشتغال بحفظه القرآن ودَرْسِه، وقل له: لك في كل شهر مثلها» فامتنع ـ ابن تيمية الطفل ـ عن قبولها من شيخه، وقال: «ياسيدي ! إني عاهدتُ الله تعالى أن لا آخذَ على القرآنِ أجرًا»، فلم يأخذها [1].

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» للبزار ص(٤٥).

الثواب التربوي:
معنوي ، ومادي

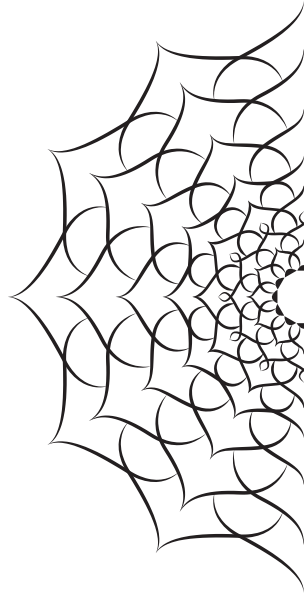

الثواب التربوي: معنوي، ومادي

أولًا: الثواب المعنوي[١]

هو إكساب الفرد المستهدف بالتربية قيمة معنوية تمنحه حالة من السعادة النفسية.

١- أول ثواب معنوي هو القبول:

يعني القَبول بالنسبة للطفل والمتعلم إحاطته بالحب والتعاطف، وكلما كان القبول كبيرًا، كانت المسافة بين الطرفين قصيرة[٢]، وهذا ما يزيد العلاقة بين طرفي العملية التربوية حميمية[٣]، ويتولد عنها المشاعر الجميلة، لأنه «لا يستطيع الطالب تمثل المعلومات والمعارف الصادرة عن هؤلاء الذين لا يشعر إزاءهم بالحب والاحترام»[٤].

(١) وقد يسميه البعض ثوابًا اجتماعيًّا: كالابتسامة والدعاء والمعانقة والاهتمام والمدح، والأطفال يميلون لهذا النوع من الثواب ؛ لما فيه من مضامين عاطفية، ولكن لكي يكون المدح فعَّالًا لا بد من مدح السلوك وليس الطفل ذاته، مع عدم الغلو فيه ؛ لئلا يفقد قيمته، ويدفع الطفل نحو الغرور ؛ أما الإثابة المادية فهي كالألعاب والنقود والنزهات ، وقد دلت الدراسات أن الإثابة الاجتماعية تعزز السلوك المرغوب أكثر من الإثابة المادية.

(٢) لا تربط الحب والقبول بشروط، فلا تقل: «لو فعلت كذا فسأحبك»، وإذا حصل علىٰ علامات (٧ من ١٠) مثلًا فقل له: لكنك أجبت إجابة صحيحة علىٰ سبعة منها، وبمزيد من الجهد سوف تعوض ذلك في المرة القادمة إن شاء الله. ولا تعاقبه إن حصل علىٰ درجات متدنية، ولكن فتش عن أسباب الإخفاق، وناقشها معه، وإذا حاول التحسن وكان إنجازه دون المطلوب؛ فقل له: «لكنني راضٍ عن الجهد الكبير الذي بذلته»، بغض النظر عن الدرجات.

(٣) وأعظم ما يدل علىٰ قَبول الإنسان منذ اللحظة الأولىٰ لميلاده، في ثقافتنا الإسلامية: العقيقة، وهي وليمة استقبال المولود، يحضرها الأصدقاء والمعارف، علىٰ شرف مجيئه، والقبول لا يقتصر علىٰ هذه الوليمة فحسب، بل يستمر بمظاهر متعددة تعبر عنه، كالتحية والتقبيل، والسؤال عن أحواله، والإهداء له، والإنفاق عليه، إلىٰ آخر ما يعبر عنه من مظاهر.

(٤) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب؟» ص (٧٨، ٧٩)

٢- ومن الثواب المعنوي:

إحسان تسمية المولود، ومناداة الطفل بالاسم الذي يحبه، بل وترخيمه، أو تصغيره على سبيل التلميح [١].

إن مناداة الطفل باسمه ينبه الطفل، ويهيئه لتلقي الكلام، ويشعره بأهميته وبمحبة المخاطِب إياه.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينوع خطابه ومناداته للأطفال:

- فتارة يخاطبه: بكنيته، كما قال: «يا أبا عُمير ! ما فعل النُّغَير».
- وتارة يقول: «يا غلام ! إني أعلمك كلمات» الحديث.
- وتارة: «يا غُلَيم ! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟».
- وتارة يقول: «ياغلام ! سمِّ الله، وكل بيمينك» الحديث.
- وتارة يقول تلطفًا: «يا بُنَي ! إذا دخلت على أهلك فسلِّم»، «يابني إذا قدرت أن تصبح وتمسي، وليس في قلبك غِشٌّ لأحد؛ فافعل».

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قل يا بن أخي، ولا تحقر نفسك».

وعن الصعب بن حكم، عن أبيه، عن جده قال: أتيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجعل يقول: يابن أخي ! ثم سألني فانتسبتُ له، فعلم أن أبي لم يدرك الإسلام، فجعل يقول: «يابني ! يا بني !».

---

(١) وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينادي عائشة: «يا عائش»، وأنجشة: «يا أنجش»، وأسامة: «يا أُسَيم».

وروى مسلم في «صحيحه» عن إسحاق بن مالك قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا بني !».

وروى أيضًا عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدٌ عن الدجال أكثر مما سألته عنه، فقال لي: «أي بني !» الحديث.

٣- ومن الثواب المعنوي اللفظي المدح[١] والثناء والدعاء:

كأن يقول المربي للطفل عقب أدائه سلوكًا حميدًا أو كفه عن سلوك سيء: «أحسنتَ»، أو: «بارك الله فيك»، أو: «جزاك الله خيرًا»، أو: «هذا ما أسميه إيثارًا أو نظامًا أو مثابرة»، أو: «ما شاء الله»، «أشكر لك»، «طيب»، «رائع»، وإن كان موقفًا تعليميًّا يقول المعلم: «إجابتك صحيحة»، « إجابة رائعة»، «نصف إجابتك صحيح» أو: «اقتربتَ من الإجابة الصحيحة»، أو: «محاولة جيدة»[٢].

وتأمل أثر المدح التربوي في سلوك عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما أخرجه البخاري عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الرجل في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتمنيت أن أرى رؤيا، فأقصّها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت غلامًا شابًّا، وكنتُ أنام

(١) المدح التربوي البنَّاء يزود المهارات، ويُريه نقاط القوة في نفسه، ويرفع ثقته بها، كي لا يُحبَط نتيجة الإخفاق في شيءٍ ما، وهذا المدح لابد أن يكون صادقًا نوعيًّا محددًا، بخلاف المدح غير البناء، وهو المدح العام الذي لا يفهم منه الطفل شيئًا مثل: «أنت رائع»، «أنا سعيد بك» إلخ، فهنا لا يعرف الطفل الشيء الجيد الذي عمله.

(٢) إذا لم تكن الإجابة صحيحة، فإذا رأىٰ المربي ورقة إجابته التي حصل فيها علىٰ درجات متدنية يمكنه أن يقول له: «إن خطك جميل»، أو: «لقد عبَّرت عن رأيك بطريقة جيدة».

في المسجد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيت في النوم كأن مَلَكَيْنِ أخذا بي، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويةٌ كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناسٌ قد عَرَفتُهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا مَلَك آخر، فقال لي: لم تُرَع. فقصصتها على حفصة، فقصَّتها حفصة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل»، فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلًا.

وشهد زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان ممن ينقل التراب يومئذٍ مع المسلمين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما إنه نِعم الغلام**».

- **لماذا يتأثر الأطفال بالمدح التربوي البَنَّاء ؟**

قد لا نكون نحن الكبار معتادين على تلقي الثناء من الآخرين عندما نفعل الأشياء المطلوبة أو المتوقعة منا بشكل صحيح.

ولكن الأمر مختلف بالنسبة للأطفال، فهم بحاجة إلى الثناء حتى عندما يقومون بأعمال هي في نظرنا يسيرة ؛ لأن هذا الأمر مهم لترسيخ المفاهيم والسلوكيات الإيجابية لديهم، خاصة وهم صغار ؛ لذلك فإنه من الضروري أن نجعل الثناء البنَّاء على أطفالنا عادة متبعة بشكل يومي عندما يؤدون أعمالًا بشكل صحيح، ولكن الأمر يتطلب بعض الحرص ؛ لئلا تنعكس النتائج [1].

(١) «الموسوعة العلمية الحديثة في تربية الأبناء» (٣ / ٩٥).

تؤكد النظرية الحديثة في التربية أن الإطراء على الطفل كلما أتقن عملًا أو أجاد سلوكًا هو أفضل وسائل غرس المهارات، وقيم الخير في نفسه، لأن للإطراء مفعولًا سحريًّا يحرك طاقة الطفل، وينشط تفكيره، ليفوز بمزيد من الإطراء، عن طريق القيام بأعمال أحسن وسلوك أفضل. فما سر ذلك ؟

سر ذلك أن غريزة إقرار الذات، من أهم الغرائز التي تحرك سلوك الإنسان، ليحتل مكانه في المجتمع بين الناس. وهي تُولَد مع الطفل، وتتحكم في جانب كبير من جوانب نشاطه وحركاته، وتظل معه طول حياته، والإطراء والثناء والمديح هي أقوى العقاقير تأثيرًا على غريزة إقرار الذات وتنشيطًا لها. حتى بين الكبار تجد أن المجتمعات تستغل هذه الغريزة الفطرية وتغذيها بالإطراء الأدبي، أو الثناء بالجوائز والأوسمة والنياشين، لتشجيع الأفراد على الإبداع والاختراع والتفوق في ميادين الحرب والرياضة والأدب والعلوم والفنون. فيتسابق المواطنون في ميدان التنافس على العمل المثالي الأفضل إقرارًا لذاته، وإبرازًا لوجوده.

على النمط نفسِه في محيط الأسرة تصنع كلمة حُلْوة تهمس بها الزوجة في أذن زوجها، أو عبارة ثناء يُسمِعها الزوج لزوجته، أو ابتسامة إعجاب أو تصفيقة استحسان، يهنئ بها الأبوان طفلًا عندما يجيد عملًا، فيشجعه الإعجاب على مزيد من الإجادة... [1].

(١) «كيف تتعاملين مع أبنائك ؟» ص (٤٧، ٤٨).

إن المدح البناء المنضبط المختار بدقة وعناية، في مكانه المناسب، ووقته المناسب، من غير إسراف ولا إفراط[1]، يؤتي ثمرة تربوية كبيرة، ويقي الممدوح فتنة غروره أو إعجابه بنفسه.

وإن كلمة تشجيع واستحسان وتقدير وإعجاب واحدة قد تؤثر في نفس الطفل أضعاف تأثير المكافأة المادية، وقد ثبت من خلال بعض الدراسات أن «الأشخاص الذين شُجعوا ومُدحوا كانوا أقدر بكثيرٍ من سواهم على حل المشكلات، وأسرع بوضوح من غيرهم في الوصول إلى الإجابات الصحيحة»[2].

إن التشجيع له دور كبير في إبراز الطفل لمواهبه، واستغلاله لطاقاته الكامنة ؛ ذلك أن الطفل السوي يحبُّ الظهورعلى أقرانه ومسابقتهم، فإذا وجد تشجيعًا شحذ همته، وأعمل فكره، وبذل وسعه، وأخرج طاقته، وإذا عومل بجفاء وتثبيط، تراجع، وكمنت مواهبه وطاقاته.

إن الدعاء للطفل، أو مدحه والثناء عليه والإشادة بسلوكه وإنجازه هو من صور التقويم الإيجابي، والتحفيز، وهذا يرفع معنوياته، ويشحذ همته، إذ فيه إعلان عن ارتياح المربي ورضاه عما أنجزه الطفل، ولا سيما إذا اقترن ببشاشة وجه المربي، وحسن استقباله للطفل، وكان ذلك أمام من يحبهم من أقرباء أو أصدقاء أو معلمين.

(١) ومن صور الإفراط الثناء علىٰ جميع تصرفات الطفل حتىٰ لو كان تصرفًا بسيطًا أو بديهيًّا ظنًّا من المربي أن هذا تشجيع.

(٢) «تعليم بلا عقاب» د. محمود إسماعيل عمار ص(١١٧)، وانظر: «علو الهمة» للمؤلف (ص ٧١٩: ٧٤٢) (طبعة دار الأمل ٢٠١٧م) تجد فيه كلامًا مفصلًا عن الحاجة إلىٰ التقدير، والتشجيع بالمدح التقديري، وأثر التشجيع في النهوض بالهمة.

وعلى المربي أن يراعي قواعد استخدام الثناء بالشكل المناسب تربويًّا، وهي:

أ – كن واضحًا في إعطاء الثناء، واربطه بالسلوك المحدد، والنشاط المناسب.

ب – ثمِّن وقدر الإنجاز المحقق والمطلوب.

ج – أُعْزُ نجاحَ الطالب ـ بعد توفيق الله ـ إلى جهده وقدرته.

د – اطلب من الآخرين: وصف المشكلات التي أعاقتهم عن الإنجاز، وبَيِّنْ طرقَ حلِّها.

هـ – اجعل الطالب يركز على تقدمه في الأداء والنجاح [1].

- **تنبيهات:**

الأول: قل، ولا تقل!

قد يستخدم المربي عبارة يقصد بها الثناء على الطفل، ولكن هذه العبارة تُشعره بأنه في مستوى لا يُمَكِّنُه من تحقيق إنجازات جيدة، لأنها تُذكِّره بالإخفاقات السابقة:

مثل:

١ – أخيرًا استطعت كتابة اسمك دون أن تخطئ ؟!

قل مكانها: تعجبني كتابتُك اسمَك بخط واضح.

٢ – تبدو حجرتك اليوم مرتبة، ما الذي حصل في الدنيا ؟

قل مكانها: كم أشعر بالسعادة لأن حجرتك مرتبة.

(١) انظر: «علم النفس التربوي وتطبيقاته» للدكتور محمد عبد الله البيلي (ص ٢٠٣).

٣- كنت أشك أنك ستنجح في هذه المادة، ولكنك نجحت.

قل مكانها: أعلم أنك بذلتَ جهدًا كبيرًا في هذه المادة، لتنجح فيها، الحمد لله[١].

الثاني: تجنب تثبيت لافتة على ولدك[٢]:

عندما يُظهر الوالدان حماسًا كبيرًا أو سعادة بالغة بما ينجزه طفلهما فإن ذلك قد يؤدي إلى إضافة عبء عليه، فعندما يكرر الوالدان القول لطفلهما: «أنت رسَّام ماهر، يجب أن تكون لوحاتك في جميع المعارض»، فقد يقول لنفسه: «لا أريد أن أكون رسامًا، إنهم يريدون تحديد مستقبلي أكثر مني»[٣].

الثالث: احذر إظهار الإعجاب بسلوكيات خاطئة:

بعض الكبار لا يتمالكون أنفسهم أمام صغارهم عندما تصدر منهم بعض الحركات الغريبة؛ كتقليد الكبار في بعض الكلمات مثل (اسكت)، أو ضرب الآخرين والسخرية منهم، قد يضحك الكبار، وقد يطلبون من الطفل إعادة ما قال أو فعل، مما يُشعِر الطفل بأن هذا السلوك محبوب، وأحيانًا يلجأ الطفل لهذا السلوك في أوقات يكون الوالدان فيها منشغلين محاولًا بذلك لفْت أنظارهم[٤].

(١) انظر: «الموسوعة العلمية الحديثة في تربية الأبناء» للأستاذ/ محمود سمير المنير (٣ / ٩٥، ٩٦).

(٢) انظر بحث: «نظرية الوَسْم» Labelling Theory في رسالة: «فقه التربية بالعقاب».

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٩٦).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ٩٦)، ومن ذلك أن ينطق الكبار بالكلمات والحروف بالطريقة نفسها التي ينطقها الطفل ممازحة له، فيتشوه النموذج اللغوي عنده، وقد يتأخر في تطوير تقدمه نحو النطق الصحيح.

الرابع: الثناء يؤدي إلى تكرار السلوك:

إن كنت لا تريد أن يستخدم طفلك الصافرة خمس أو عشر مرات داخل المنزل فلا تقل له: «أنت تعرف كيف تستخدم الصافرة !»، وإذا كنت لا تريده أن يتسلق مظلة السيارة؛ فلا تقل: «أنت تعرف كيف تستخدم عضلاتك للتسلق»، من المهم أن نعرف أن الثناء يؤدي بشكل طبيعي إلى تكرار العمل [1].

الخامس: راع الفروق الفردية عند المدح:

يحتاج المدح والإطراء إلى قدر من التحفظ عندما نستعمله، فمعادن الأطفال ليست واحدة، ولذلك فإن أثر الإطراء يختلف بين شخص وآخر. ولهذا السبب ينبغي أن يستعمل الآباء الإطراء بحساب وبمقدار، لأن بعض الأطفال يفسدهم الإطراء فيشبون مدللين. والبعض الآخر يزرع الإطراء المفرط في نفوسهم روح الغرور، ومن ناحية أخرى يجب أن يتطور أسلوب التعبير عن الإطراء بتطور مراحل عمر الطفل. وفي كل الأحوال يجب ألا يلمس الابن في هذا الأسلوب نوعًا من المبالغة، وإلا فإن ذكاءه قد يصور له أنه ليس إلا وسيلة للضحك على الذقون. فيفقد الإطراء مفعوله الساحر [2].

عندما تقول لطفلك ذي السنوات الأربع ـ والسرور بادٍ عليك ـ: «ما شاء الله، أراك تنظف أسنانك بالفرشاةوالمعجون كل يوم»، فإنه سوف يشعر بالفخر بهذا العمل، ولكنك

(١) نفسه.

(٢) «كيف تتعاملين مع أبنائك ؟» ص (٤٨).

لـو قلـت الـكلام نفسـه لابنـك ذي الأربعـة عشرعامًـا فإنـه سـيتضايق ؛ لأنـه يشـعر أنـك تسـخر منـه [1]، وتعاملـه كطفـل.

السادس: امدح غيره أمامه إذا أحسن:

فـإن مـن وسـائل تثبيـت السـوكيات الجيـدة في نفـس الطفـل ؛ أن نمـدح أمامـه الأفعـال الحسـنة التـي قـام بهـا غـيره.

٤- ومن أساليب الثواب المعنوي اللفظي: حكاية القصص:

إن سرد القصـص عـلى الأطفـال مـن أفضـل وسـائل مكافأتهـم والتـودد إليهـم، لأنهـم يحبونهـا، ويتابعونهـا بشـغف، كـما أن «التربيـة بالقصـة» تحتـل المركـز الأول في الأسـاليب المؤثـرة في عقـل الطفـل ووجدانـه، وهـي أفضـل أشـكال الإقنـاع والتوجيـه غـير المبـاشر، بجانـب أن فيهاخطابًـا مبـاشرًا لعقـل الطفـل.

وهـي وسـيلة تربويـة جيـدة عميقـة التأثـير في تكويـن وإعـداد شـخصية الطفـل، ومـع ذلـك غفـل عنهـا اليـوم كثـير مـن المربـين.

وليـس أدل عـلى جاذبيـة القصـة وسـحر مفعولهـا مـن أن الكبـار أنفسـهم يحبـون أن يسـتمعوا إليهـا، ويتابعـوا أحداثهـا بشـغف.

(١) «الموسوعة العلمية الحديثة» (٣/ ٩٥).

● **فوائد القصة:**

– تـدرب الطفـل عـلى مهـارات التواصـل، والحديـث المهـذب، والحـوار الهـادئ، كـما تمرنـه عـلى فـن الإصغـاء الجيـد ومهـارة الإنصـات.

– تنمي لغته، وتُثري قاموس مفرداته اللغوية.

– تـزوده بعلـوم شـتى، ومعـارف متنوعـة عـن العـالم مـن حولـه، وتنمـي مهـارات التفكـير لديـه.

– تعرض أساليب حل المشكلات، وتدربه على مواجهتها بطريقة صحيحة واقعية.

– تنمـي قدراتـه الإبداعيـة، وتسـتثير خيالـه لينطلـق حـرًّا كـي ينسـج بنفسـه صـورًا ذاتيـة عـن الأشـخاص والأماكـن والأحـداث المتعلقـة بالقصـة.

–يُمِـده موقـف الحكايـة ومـا يكتنفـه مـن دفء عاطفـي ودود، بالأمـان والحـب والاسـترخاء والمتعـة والتسـلية.

– تنمي قدرته على التركيز وشد الانتباه من خلال متابعة الأحداث.

– وهي وسيلة فعالة لغرس الفضائل، وتثبيت العقيدة، وتجسيد القيم.

– وللقصـة دور عميـق في تغيـير السـلوك عـن طريـق الإيحـاء بالمبـادئ وصحتهـا، والاسـتهواء مـن خـلال صفـات البطـل وانتصـاره، ثـم التقمـص أو التماهـي معـه بمحـاكاة سـلوكه وتصرفاتـه.

● **ضوابط القصة:**

- أن تكون القصة ـ كلماتها وأفكارها ـ مناسبة لمرحلته العمرية ودرجة نموه العقلي.
- أن يتخير لها الوقت المناسب.
- أن تُقَصَّ بأسلوب شيق مثير وبسيط، وأن يعتمد الحاكي على المؤثرات اللفظية والحركية.
- أن تُجتنب القصص المرعبة، أو التي تنتصر للشر، أو المغرقة في الخيال الكاذب.

وما من شك في أن أحسن القصص على الإطلاق ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأنها تُثَبِّتُ العقيدة، وتُبطِل الشرك والخرافة، وفيها إنذار واعتبار، كما أنها كلها حقيقية وقعت بالفعل فيما مضى، ومنزهة تمامًا عن الخرافات والأساطير، كما أن التاريخ الإسلامي حافل بقصص البطولة والأمجاد والتضحيات.

٥- الثواب المعنوي الحركي:

يؤدي المربي هذا النوع من الثواب بالحركات والإيماءات، ومن ذلك: الابتسامة، وهزُّ الرأس، وتحريك اليد، ورفع اليد، ونحو ذلك مما لا يصعب على الناشئ أو الشخص المستهدَف بالتربية إدراكُه، ومعرفة أن مراد المربي إثابته وإظهار السرور بما قام به من سلوك طيب.

- **التواصل البصري المعبر عن الحب والود والرضا:**

فالنظرة الحانية بلطف تعكس ما يعتمل في نفس المربي من مشاعر فياضة تُجاه ولده، ومع أنها لا تكلف شيئًا فإن لها مفعولَ السحر.

- الابتسامة وبشاشة الوجه:

البسمة تفتح آفاقًا واسعة في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، حتى عَدَّها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة يُثاب عليها، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (١)، لأن لغة التجهم والصرامة والجفاف، تعطي نتائج مختلفة عن لغة البسمة والبشاشة والرضا، ولأن حسن الاستقبال، وإقبال الوجه، ونظر العينين، وحسن الاستماع، تعبر عن احترام الطرف المقابل، والبسمة والتبسم اليومَ فن وصناعة تسويقية، وأعظم ما يُسَوِّق المربي والمعلم، قيم المعرفة والأخلاق والجمال (٢).

- اللمسة الحانية، ومسح رأسه، والتربيت على كتفه، وضمه لصدر أمه: كل ذلك مما يُشعِر الطفلَ بالحب والحنان والأمان، ويدعم سلوكه الحسن، ويرغبه فيه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا شكا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسوة قلبه، فقال له: «إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم» (٣).

« يحتاج الصغير قبل الكبير وإلى السنة العاشرة، أو الثالثة عشرة، حسب روايات الحديث الآمرة بتعليم الصلاة، إلى ضمة الأم حين خروجه من البيت إلى المدرسة، أو إلى النوادي

(١) صدر حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨)، وابن حبان (٨٦٤)، وحسَّنه لغيره الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٧٢).

(٢) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب» (ص ٨٠).

(٣) رواه الإمام أحمد رقم (٢/ ٢٦٣) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٨٥٤).

الثقافية والرياضية، وهذه الضمة إلى صدر الأم، أو من يقوم مقامها، لها الأثر الكبير عليه، في نقل شِحنة عاطفية دافئة إليه، ويمكن استمرار هذا الأمر بعد هذه السن، بشكل قبلة تطبع على وجنته، أو كلمة طيبة، أو دعاء حسن، فيكون لها الأثر الكبير، في حفظه من استقبال العواطف الناقصة أو المشبوهة خارج البيت.

هذا الثواب المُعَزِّز، يعطيه دفعًا قويًّا للسعادة والنشاط والإبداع، وحب العودة إلى البيت والأسرة، وهو ممتلئ بحصاد اليوم، من المعرفة والتجربة والنجاح، ويحسُن استقباله في عودته كذلك، أليس هذا ما يشد كل أب وأم، ومسؤول أسرة إلى بيته وأسرته، وأهله وعشيرته، ولا ينسَ الأب دوره في هذه المسألة، أليس هذا ما كان يصنعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صغاره، حتى أنه ذهب مرة مع بعض أصحابه، إلى عوالي المدينة، ليس إلا لِيُقَبِّلَ صغيرًا له، يُحتضن في بيت من بيوتها، ثم انقلب إلى عمله وجهاده [1].

ولقد تناسينا مثل هذه الأمور، أو قَصَّرنا فيها، بدعوى التربية المُحافِظة التقليدية، فخسرنا ثقافتنا الحقيقية، وأضعنا الاستقرار النفسي والخلقي لأبنائنا، فأخذوا في التلقي عن الثقافات

(١) فقد قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إبراهيم مُستَرْضِعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه لَيُدَخَّنُ، وكان ظِئرُه قَيْنًا - أي: حدَّادًا - فيأخذه، فيقبله، ثم يرجع» رواه مسلم رقم (٢٣١٦)، والظئر هي المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرضيع، فلفظة (ظئر) تقع على الأنثى والذكر.

الدخيلة، عبر شاشات الرائي، والصحبة السيئة، تعويضًا لما حُرموه في بيوتهم، وتخفيضًا للتوتر الذي يلاقونه من شدة وصرامة المعاملة في مدارسهم» [1].

- حسن استقباله، بمصافحته، والترحيب، والحفاوة به :

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استقبله الرجل فصافحه، لا ينزِع يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع»[2].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما مَسَسْتُ حريرًا ولا ديباجًا ألينَ من كَفِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[3].

رُوي أن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دخل على عمر ابن عبد العزيز، وهو حديث السنّ ؛ وله وفرة، فرفع عمر مجلسه، وأقبل عليه، فلامه قومه، فقال: «إن الثقة حدثني ؛ حتى كأني أسمعه ؛ مِن فِي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما فاطمة بَضْعة مني، يسُرُّني ما يَسُّرها)، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية ؛ لسرَّها ما فعلتُ بابنها».

وبالجملة، فقد كان من هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إدخاله الفرحة والسرور على قلوب الأطفال، بالسلام عليهم، ومصافحتهم، ومداعبتهم، والتصابي لهم.

---

(١) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟» ص(٨٤، ٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٠)، وابن ماجه (٣٧١٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٨٠).

(٣) رواه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢١٥٠).

٦- الثواب المعنوي برفع الذكر:

قال ابن مسكويه: «ويُمدَح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل، وفعل حسن، ويُكرم عليه».

وقد استجاب الناس لهذا الاتجاه فكرموا أدبيًّا وكُافؤوا ماديًّا كل من نبغ من التلاميذ وأظهر تفوقًا، وكان من مظاهر التكريم الأدبي أن يُحْمَل الصبي على حصان أو بعير، مرتديًا أزهى ملابسه، ويحيط به إخوانه وأقرانه، ويسير بذلك الموكب في الشوارع الهامة بالمدينة [١].

إن مما يرفع الناشئَ عند أقرانه وسائر الناس أن يُشِيدَ به ـ أمامهم ـ المربي، ويثني على سلوكه الذي حسَّنه، أو إنجازه الذي حققه وهو حاضرٌ ذلك مطلع عليه، ويمكن أن يتم ذلك من خلال:

- الإشادة به في طابور الصباح في الإذاعة المدرسية.
- تسليمه شهادة شكر وتقدير أو تفوق.
- تسجيل اسمه في لوحة الشرف [٢].

يقول الأستاذ محمد نبيل كاظم: «من أنواع الثواب: إشهار الناجح والإشادة به، سواء كان في المدرسة أو البيت أو النادي، وربما يرفق بصورة شخصية، أو تدوين ذلك في سجل

(١) انظر «التربية الإسلامية» لأحمد سبكي، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة السادسة، ١٩٧٨م ص(٢٧٢-٢٧٤).

(٢) يقول أحد المعلمين: «وهي تُجدي مع بعض الأولاد أكثر من أي هدية أخرىٰ ذات قيمة، حتىٰ كان عقاب التلميذ عندي في الفصل أن أهدده بحرمانه من وضع اسمه في لوحة الشرف، فيبكي ويعاهدني علىٰ الاستقامة».

خـاص، ولا بـأس أن يجعـل ذلـك في بطاقـات، توضـع في صنـدوق، تسـتخرج بعـد فـترة زمنيـة للتكريـم، وهـذه الطريقـة نافعـة جـدًّا، خاصـة حـال وجـود مشـكلات سـلوكية مـع بعـض الأبنـاء، يـراد تعديـل السـلوك فيهـا إلى الأحسـن والأفضـل، وفي الإمـكان صنـع أوسـمة صغـيرة، تـدل عـلى نجـاحٍ مـا، تُعَلَّـق عـلى صـدر الطالـب، أو لوَّاحـة مفاتيـح، أو أقـلام يُنقـش عليهـا عبـارات تكريـم معينـة، أو مـا يشـبه ذلـك مـن وسـائل كثـيرة، يُبتـدع فيهـا تكريـم وتشـجيع الأبنـاء، بـما يتناسـب مـع العـصر، ومسـتلزمات تفـوق الأمـة وإعـادة حضورهـا الحضـاري والعالمـي» [1].

٧- ومن الثواب المعنوي ما يختص بالدرجات في المدرسة :

إن إعطـاء الدرجـات الإضافيـة للتلميـذ في غرفـة الصـف هـو مـن أنـواع الثـواب المعنـوي الفاعل في العمليـة التربويـة، سـواء وضعـت في سـجل العلامـات أمـام التلميـذ مبـاشرة، أو وُضِـع لـه علامـة عـلى دفـتره أو عـلى ورقـة عمـل أو نحـو ذلـك [2].

... إن الدرجـات والتقويـمات والاختبـارات تدخـل في بـاب التقويـم الإيجـابي، لأن الإنسـان كائـن اجتماعـي بالطبـع، يؤثـر فيـه ظهـور أثـر سـلوكه في الآخريـن تعزيـزًا لـه، وإشـباعًا لحاجتـه إلى رضـا الآخريـن، وقـد يتمثـل الآخـرون لديـه ـ حينـما يكـون عملـه عظيـمًا ـ المجتمـع، أو الوطـن، أو الأمـة بأسرهـا.

(١) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب ؟» ص(٨٧، ٨٨).
(٢) «أصول التربية الإسلامية» ص(١٩٢).

- والجزاء التربوي اليوم، له ارتباط وثيق بعملية التقويم المدرسي، وربما كان أحد صوره ووجوهه، وهذا ما يدعونا للتوسع في دراسته، وابتداع نماذج وصور إضافية وجديدة له، بحيث يدعم القيم التربوية، ويعمل على الأخذ بيد الناشئة، نحو تنمية قدراتهم، واكتشاف مواهبهم، وتطوير بيئاتهم وأوطانهم[1].

- ويقترب من هذا: طريقة استخدام النجوم اللاصقة مع الأطفال الصغار في تعديل السلوك: استخدِم النجومَ أو النقاط اللاصقة كي تبين السلوك الذي تم تغييره بنجاح.

- ضع لوحة مدونًا عليها القواعد الأسرية المتفق عليها داخل الأسرة[2]، وما تتفق أنت وطفلك على تغييره. فمثلًا: «سوف أنظف أسناني بالفرشاة بعد الإفطار»، «سوف أتعامل بشكل جيد مع أختي»، «سوف أؤدي واجبي بعد المدرسة مباشرة»، «سوف أتناول العشاء بدون جلبة أو ضوضاء»، «سوف أحافظ على الذكر قبل النوم»، ولكل قصةِ نجاحٍ، أضف نجمة أو نقطة.

- اتفق مع طفلك على مكافأة بشكل مسبق إذا هو حقق عددًا معينًا من النجوم والنقاط. فخمس نجوم يمكن أن تعني لعبة جديدة، أو خروجًا للتنزه في الحدائق، أو الذهاب إلى المكتبة، أو ساعة إضافية في مشاهدة الكمبيوتر. وبزيادة عدد النجوم والنقاط تزداد المكافآت. فمثلًا عندما تصل إلى خمسين امنحه تصريحًا بالذهاب إلى الحديقة، أو اشتر له قصة يحبها، أو زد في مصروفه.

(١) «كيف نؤدب أبناءنا بدون ضرب ؟» ص(٧٨).

(٢) ولأهمية هذا الموضوع أفردنا له رساله «القواعد الأسرية ونظام المكافآت»، وهي قيد الإعداد للطباعة.

والنجوم والنقاط تؤتي أفضل نتائجها مع المشكلات القصيرة الأجل.

- قم بتغيير اللوحة عندما يصبح السلوك الجيد عادة لدى طفلك وإلا شعر بالملل. فإذا فقد الطفل الاهتمام فأرجئ استخدامه لوقت قصير، ثم استخدمه عندما تصبح الأمور مهيأة لاستخدامه. لكن لا تستخف بتأثير المكافآت حتى على المدى القصير.

٨- الثواب المعنوي بإظهار الاهتمام به :

وذلك من خلال:

- الاستماع إلى وجهة نظره بكل اهتمام، وتقبل آرائه واقتراحاته[١]، ومناقشتها بلطف وموضوعية، وبخاصة بعد سن العاشرة حيث يزداد نضجه العقلي، وكذا الاشتراك معه في حل مشكلاته.

---

(١) وتأمل موقف أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين قال عمر: فيم ترون أُنزلت هذه الآية: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٦] فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين! فقال عمر: قل يا بن أخي ولا تُحَقِّر نفسَك، فقال ابن عباس: ضرب مثلًا لعمل، فقال عمر: أي عمل؟ فقال: العمل، فقال عمر: «لرجل غني يعمل بالحسنات، ثم بعث الله إليه بشيطان، فعمل بالمعاصي حتىٰ أغرق أعماله كلَّها» اهـ. من «فتح الباري» (١٣/ ١٥٣).

وتأمل اهتمامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتقديره إياه فيما رواه البخاري (٣٦٢٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لِم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتهم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليُريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ؟، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول ؟ فقلت: هو أَجَلُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه له، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾. فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول.

- الاتصال به تليفونيًّا وأنت في العمل لتطمئن عليه.

- تعميم السلام على من تدخل عليهم، ثم تخصيصه بالتحية والسؤال عنه.

- الترحيب بأسئلته وتشجيعه على أن يسأل، مع إجابة أسئلته بما يناسب مرحلته العمرية[1]، وكذا إذا ألقى عليك سؤالًا فأجبه وشجِّعه، وأثبه إذا أصاب، أما إذا أخطأ ؛ فاشكره على المحاولة، وأمِّله أنه سيوفق المرة القادمة إن شاء الله.

- تعامل معه من حين إلى آخر بشكل شخصي فردي، بدلًا من التعامل معه فقط كأحد أفراد مجموعة[2]، وتأمل هنا ما قاله عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «علمني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التشهد كَفِّي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن»[3].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ! والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تَدعَنَّ في كل صلاة أن تقول: اللهم أعِنِّي على ذكرِك وشكرِك وحُسْنِ عبادتك»[4].

(١) انظر: «التربية العملية للطفل» لمؤلفته هداية الله الشاش ص (٢٧٢-٢٨٢)، و«الموسوعة العلمية الحديثة» للأستاذ محمود سمير المنير (٣/ ٢٠١-٢٠٣).

(٢) إن استقطاع وقت يومي - ولو نصف أو ربع ساعة - وقضاءه مع كل طفل بمفرده، وليس مع إخوته، تلعب الأم معه، أو تتحاور معه، أو تستمع إليه على حدة، يقوي الروابط بين الأم والطفل، ويسهل الحوار معه، ويلبي احتياجات نفسية لديه، ويشعره بقيمة ذاته، وأنه جدير بالتقدير والاهتمام، ويزيد ثقته بنفسه.

(٣) رواه البخاري (٦٢٦٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٤) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣) وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «إسناده صحيح» اهـ. من تخريج «جامع الأصول» (٤/ ٢٠٩).

ويقترح د. سبوك هنا اقتراحين:

«**أولًا**: اطلب من كل طفل أن يصمم عَلَمًا شخصيًّا خاصًّا ـ يمكن أن يُصنع هذ العَلَم من القماش مثلًا. يُرفع هذا العلم في مكان واضح بالمنزل في الأيام الخاصة بالطفل مثل يوم ميلاده، أو عندما يتفوق في المدرسة، أو يسجل هدفًا في مباراة كرة القدم، أو عندما يكون أداؤه متميزًا في حفل المدرسة.

ثانيًا: يمثل الأمر قيمة ومعنى كبيرين عندما يحدد الأب موعدًا للخروج مع كل طفل على حدة ـ كل أربعة أو خمسة أسابيع. ولا يجب أن يعرف بقية الأبناء المكان الذي سيتوجهان إليه، إلى أن يخبرهم الابن أو الابنة بذلك بعد اللقاء. أثناء هذا اللقاء يلعب الأب مع الطفل البولينج، أو كرة السلة، أو كرة القدم، أو يزور حديقة الحيوان، أو مُتْحَفَ الأحياء المائية، أو مكتبة أطفال، ويجب أن يختار الطفل بنفسه ما سيتم أثناء هذا الوقت.

بالطبع هناك وسائل أخرى لتحقيق الغرض نفسِه، لكن مرة أخرى الهدف هو التخطيط لأنشطة تؤكد على أهمية كل شخص في ذاته، وليس كفرد ضمن المجموعة» اهـ [1].

وأخيرًا إليك هذا الموقف المعبر عن مغزى «الاهتمام» بالطفل:

كان أحد الآباء يصلح سيارته، ويعتني بها، بينما ابنه يحدثه، والأب لا يلتفت إليه، فقال له ابنه: كم تساوي هذه السيارة يا أبي ؟ فقال له: كثيرًا، وعندما نعتني بها تساوي أكثر. فقال له الابن: «أما أنا فلا أساوي شيئًا، وإلا لكان اهتمامك بي كاهتمامك بالسيارة».

(١) «حديث إلىٰ الأمهات» (ص ١٣١)، بتصرف.

٩- إثابته بإسناد شيء من المسؤولية إليه:

يحتاج الطفل في مرحلة معينة إلى الشعور بذاتيته، واستقلاليته، ونموه، وإخراج الطاقة الكامنة فيه، وفي تكليفه بشيء من المسؤوليات تغذيه لهذا الشعور، وتدعيم لثقته بنفسه، وشعوره بالفخر بإنجازه الذي يجلب إعجاب المحيطين به وتشجيعهم.

إن تكليفك إياه بعملٍ ما ـ في حد ذاته ـ أهم من نجاحه في هذا العمل أو عدم نجاحه.

يقول بعض التربويين: «هناك قاعدتان في غاية البساطة يجب اتباعهما:

١- امتدح ما قام به الطفل من أعمال، وقَدِّرْ نجاحَه المحدود فيها.

٢- اعمل على أن تعطي الطفل عدة أعمال يمكنه القيام بها».

وقال ونستون تشرشل ذات مرة: «لقد وجدت أن أفضل طريقة لإكساب أحدهم إحدى الفضائل، هي أن تنسب هذه الفضيلة وتعزوها إليه، أشعِر طفلك بإمكانية الاعتماد على قدراته، والثقة فيه، فإنه لا محالة سيثبت لك أنه جدير بهذه الثقة التي يستحقها».

وفي مرحلة عمرية معينة يستنكف الطفل أن يُعامَل كطفل صغير، ويُثلج صدرَه أن يُعترف به في البيت اعترافًا مقترنًا بالفرح والسرور على أنه قد كبُر، ويزداد انشراحه إذا تم التعامل معه عمليًّا على هذا الأساس.

ومن هنا فإن إسناد شيء من المسؤولية إليه يعتبر اعترافًا بلسان الحال بأنه كبر، ولم يَعُدْ طفلًا صغيرًا.

كما أن إسناد شيء من المسؤولية إليه يدربه على تحملها، وإخفاقُه في البداية يمرنه على تحمل الإخفاق وإعادة المحاولة.

ومن صور هذا النوع من الإثابة :

- إعلانه عريفًا[1] على التلاميذ خلال فترة خروج المدرس من الفصل.
- تعيينه مسؤولًا عن النظافة في الصف.
- المساعدة في إعداد المائدة.

وفي بعض المراحل يمكن:

- أن تمنحه مصروفَ أسبوعٍ مرة واحدة بدلًا من المصروف اليومي، وتتابعه عن قرب.
- أن تستشيره في بعض الأمور وتستمع إليه، ولا تعارضه في كل مايقول، وأن تسمح له بالاختيار من بين عدة بدائل، وأن تفوضه في عمل بعض الاشياء التي يحتاجها المنزل.

يقول د. سبوك: «فإذا كان هناك محل بقالة لا يبعد عن المنزل إلا خطوات فلا مانع من أن ترسل الأم الطفلَ ذا خمسة الأعوام ليشتري شيئًا من هذا المحل، وأن يحاسِب البائع، بشرط أن يكون الطفل تحت رقابة الأم خوفًا من السيارات المسرعة. ويمكن للابن في عمر السادسة أن يحمل حقيبة المشتريات أثناء ذهاب الأم أو الأب للتسوق. ويمكن للابن أن يفتح الباب، باب المنزل إذا ما دق الجرس وكان الأب أو الأم مشغولًا في عمل ما فسمحا له بذلك...

(١) **العَريف لغةً:** القيِّم بأمر القوم وسيدهم، والمراد به هنا: من يستخلفه المدرس عند خروجه من الفصل ليحفظ النظام فيه.

إن إسناد بعض الأعمال للصغار، يجعل هؤلاء الصغار يتعلمون من الكبار، ويجعل طاقاتهم الكبيرة تلتقط ألوان السلوك الذي ينتهجه الكبار...

إن إسناد بعض من الأعمال الصغيرة إلى الأطفال يفجر في أعماق الأطفال الفخر بأنفسهم، ويجعلهم يكتسبون لغة الكبار في التعبير عن أنفسهم» [١].

نعم قد يقع الطفل في بعض الأخطاء، ولكن هذا هو الطريق الصحيح لتعلمه ولنجاحه... ذلك النجاح الذي سيولِّد النجاح الذي يليه، لأنه يبني في الإنسان ثقته بنفسه وبمقدرته، وقد صدق المثل القائل بأنه «لا شيء يُوَلِّد النجاح أفضل من النجاح نفسِه» [٢].

ومن هنا فإن علي المربي أن يتوقع بعض الخلل «لأن ضرورة البداية تكون هكذا، ومن لازم ذلك أن لا ينفعل المربي بهذه النتيجة ويعاقبه أو يتراجع عن مشروعه، بل يدله على الصواب بطريقة لا تحمل استهانةً به، أو تقليلًا لجهده المبذول، ويتباحث معه في الأمور التي عوقته، ويعمل على إزالتها، ومن الحكمة في التفويض أو التوكيل أن لا يفعل ذلك في الأمور الكبيرة، والتي يكون الخطأ فيها مكلفًا، بل يبدأ أولًا بالأمور اليسيرة، حتى إذا آنس منه رشدًا في التصرفات، أمكن أن يكلَ إليه الأمور الجسيمة أو العظيمة فيما بعد» [٣].

(١) «تربية الأبناء في الزمن الصعب» ص (١١٤، ١١٥).

(٢) «اللمسة الإنسانية» ص (٣٠١، ٣٠٢).

(٣) «نحو تربية إسلامية راشدة» للأستاذ محمد بن شاكر الشريف ص (١١٧).

من هَدْي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إسناد مسؤولية إلى الطفل

ما قصَّه خادمه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خدمتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا حتى إذا رأيتُ أني قد فَرَغْتُ من خِدمتِه قلتُ: يَقِيلُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرجتُ إلى صِبيانٍ يلعبون، قال: فجئتُ أَنظرُ إلى لَعِبِهم، قال: فجاء رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَلَّمَ على الصبيانِ وهم يلعبون، فدعاني رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعثني إلى حاجةٍ له، فذهبتُ فيها وجَلَسَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فَيْءٍ حتى أتيتُه، واحتَبستُ على أُمي في الإبَّان [1] الذي كنتُ آتيها فيه، فلما أتيتُها قالت: ما حَبَسَك ؟ قلت: بعثني رسولُ الله في حاجَةٍ له. قالت: وما هي ؟ قلت: هو سِرٌّ لرسولِ الله قالت: فاحْفَظْ على رسول الله سِرَّه.

قال ثابتٌ: فقال لي أنسٌ: لو حدَّثتُ به أحدًا من الناس ـ أو كنت محدِّثًا به ـ لَحَدَّثْتُكَ به يا ثابتُ [2].

فتأمل ـ رحمك الله ـ كم تقوى إرادة هذا الطفل حين يحفظ السر ويكتمه حتى عن أمه، وكم ترتفع ثقته بنفسه، وكيف تكون صورة نفسه عنده وقد اتصف بالأمانة والوفاء والصدق وقوة الإرادة ؟!

---

(١) **الإبّان**: الحِين والوقت.

(٢) رواه الإمام أحمد رقم (١٣٠٢٢)، وقال محققو «المسند»: «إسناده صحيح على شرط مسلم» (٢٠/ ٣٢٤).

وعن الرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة عاشوراء إلى قُرى الأنصار التي حول المدينة: «من كان أصبحَ صائمًا فلْيتِمَّ صومَه، ومن كان أصبحَ مُفطِرًا فلْيُتِمَّ بقيةَ يومِه».. فكنا بعد ذلك نصومه، ونُصَوِّم صبيانَنا الصغارَ منهم إن شاء الله، ونذهبُ إلى المسجد، فنجعلُ لهم اللُّعبة من العِهْنَ، فإذا بكى أحدُهم على الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار».

وفي رواية: «فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللُّعبة تُلهيهم حتى يُتمُّوا صومَهم» [1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم»: «في هذا الحديث تمرين الصبيان على الطاعاتِ وتعويدهم العباداتِ، ولكنهم ليسوا مكلفين» [2].

إن الصوم مرتبط عند الطفل بالكبار (المكلفين)، ولذا فإن بعض الأطفال يرى في صومه مؤشرًا على أنه قد كبر، لأنه يعمل الآن شيئًا مختلفًا، ولأنه خرج من دنيا الطفولة إلى عالم الكبار، فيحاكيهم، ويتحكم في رغباته، ويتدرب على تأجيل إشباعها، ويشعر بالفخر لأنه أنجز العبادة وشارك فيها.

أخرج مالك عن سليمان بن يسار قال: فَنِيَ عَلَفُ حمار سعيد بن أبي وقاص، فقال لغلامه: خذ من حنطة أهلك، فابتع به شعيرًا، ولا تأخذ إلا مثله».

(١) رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦)، وغيرهما.

(٢) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٣/ ١٩٣)، وإذا عجز الطفل عن إتمام الصوم فلا يُوَبَّخ، ولكن يُشَجَّع على المحاولة، ولو جزءًا من النهار.

يقول الدكتور محمد محمد بدري ـ حفظه الله ـ: «إن من أكبر ما ينمي ثقة الابن بنفسه واحترامه لذاته ؛ أن يكون مسؤولًا عن عمل ما، مهما كان عمره.. فالأطفال البالغ عمرهم ثلاث سنوات يجب أن نتوقع منهم أن ينظفوا أنفسهم بأنفسهم بعد قضاء الحاجة، بل وأن يساعدوا في أداء المهام البسيطة في المنزل، ويجب أن تتزايد هذه المهام والمسؤوليات الأخرى بتقدم العمر مع عدم ربطها بالمكافآت، فالأطفال يجب أن يقوموا بتقديم المساعدات المنزلية من منطلق مبدأ أن مساعدة الآخرين هو الشيء الصحيح الذي يجب القيام به..

وإذا كان للأب عمل يمكن للابن أن يتدرب على ممارسته، وجب تدريبه عليه، فإن ذلك يلقي الثقة في قلبه، ويعلمه الاعتماد على النفس، ويطور شخصيته المستقلة..

وقد شاهدت هذا بنفسي، فقد كان أحد من أعرف من التجار يدفع ابنه إلى السفر ومقابلة من يتعامل معهم الأب في تجارته، وهو يحمل المال للاتفاق على الصفقات التجارية.. كل ذلك وهو ابن أربعة عشر عامًا، فكان لهذا التدرب في الصغر الأثر الأكبر في شخصية هذا الابن في الكبر من استقلالية التفكير والعمل...

وإن لم يكن عمل الأب من الأعمال التي يمكن للابن ممارستها، فلا أقل من أن يمارس الابن ما يستطيع من أعمال، ويُرَغَّب في القيام بها بجد وإتقان لينشأ بعيدًا عن الكسل، والترهل..

وهذا مثال من الصين:

أطفال في الصين ـ في دار حضانه !!! ـ متواضعة المباني في جزء منها حجرة هي مصنع صغير، ليست فيه أجهزه تحتاج لأموال طائلة ولا اتصالات كهربائية معقدة.. فقط مجموعة لمبات كهربائية صغيرة تصلح للبطاريات، وجهاز أقل من حجم اليد يشير: ما إذا كانت هذه اللمبة سليمة أم فاسدة ثم صندوق ورقي فيه ثقوب وورق لاصق..

يدخل الأطفال ويختبرون كل لمبة، فإذا كانت صالحة وضعها الطفل في مكان مثقوب بالصندوق أُعِدَّ له، وإذا كانت فاسدة ألقاها في سلة مجاورة.. [1] هكذا تتكون الاتجاهات والقيم بالعمل لا بالقول» [2].

١٠- ومن صور الإثابة المعنوية العفوُ عنه عندما يخطئ:

ويشترط هنا أن تخبره أن العفو عنه كان بسبب فعلٍ حَسَنٍ قام به، فمثلًا تقول الأم لطفلٍ استحق العقاب: «سأعفو عنك، لأنك ساعدتني في ترتيب المنزل، ولكن لا تعد إلى الخطأ مرة أخرى».

أو: إعفاؤه مما هو مكلف به: كأن تقول الأم: «سأعفيك من فعل كذا اليوم ؛ لأنك تعبت في المذاكرة، وأديت واجباتك المدرسية».

(١) وهذا مجرد تدريب عملي، وليس من باب «تشغيل الأطفال» في شيء.

(٢) انظر: «اللمسة الإنسانية» ص (٣١٤، ٣١٥).

استطراد:

- يجب التفريق بين المكافأة السلبية (Passive Reward) المقصودة من المربي، كما في المثالين الآنفي الذكر، وبين المكافأة العارضة غير المقصودة على سلوك سلبي (Negative Behavior).

وإليك هذين المثالين على المكافأة العارضة (غير المباشرة) أو غير المقصودة على سلوك سلبي:

١- طلبت الأم من ابنتها ـ حين أتى موعد نومها ـ أن تذهب إلى الفراش لتنام، فبكت البنت وصرخت لأنها لا ترغب في النوم، فرضخت الأم لرغبتها لأنها لا تحتمل بكاء البنت وصراخها.

تعلمت البنت من هذا الموقف أن بإمكانها مستقبلًا أن تلجأ إلى البكاء والصراخ كي تلبى رغباتها، وتجبر أمها على الرضوخ لها.

٢- حضر موعد نوم الطفل، فتغافل الوالدان، وأعرضا عن تنبيهه ليذهب إلى فراشه، كي لا يقطعا عليه مشاهدة الكمبيوتر.

هذا التغافل والإعراض هو مكافأة وتعزيز سلبي[1] غير مباشر من جانب الوالدين لسلوك غير مستحب، قد يؤدي فيما بعد إلى صراع بين الطفل وأهله إذا حرَّضوه بعد ذلك على النوم في الوقت المحدد.

---

(١) راجع ص (٢٥).

ثانيًا: الثواب المادي

هو إكساب الناشئ منفعة مادية محسوسة، سواء كانت نقدية أو كانت عينية، ولأن العينية من حيث الواقع تقوَّم بمال فهي في النهاية منفعة نقدية من الناحية العملية.

إذن الثواب المادي: عبارة عن مكافأة مالية أو مغلفة بالجوانب المادية، كالهدايا، وتُعطى للمتفوقين في التعليم والسلوك مثل: الكتب [1] والأشرطة والألعاب والأجهزة والأواني وغيرها، وغالبًا ما يؤمِّل المربون أن تحقق مثلُ هذه الهدايا جوانبَ تربوية إضافية، وتساعد على بناء القدرات المهنية والتعليمية، بحيث يفرح الطفل بالحصول عليها وفي الوقت نفسِه تكون عاملًا حافزًا لمواصلة الجهد في المستقبل، إلى جانب تنمية المهارات والسلوكيات [2].

والمكافأة مقابل السلوك الحسن:

- إما أن نعده بها في إطار «نظام المكافآت».
- أو أن نقدمها له كمفاجأة بعد السلوك الجيد.

---

(١) يعد إهداء الكتب المختارة بعناية من أفضل وسائل التشجيع على السلوك الحسن، ليصبح للطفل مكتبة علمية تنمو مع نموه، يحكي ابن العلامة الكبير ابن عابدين عن نشأة والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيقول: وكان السبب في جمعه لهذه الكتب العديمة النظير: والده، فإنه كان يشتري له كل كتاب أراده، ويقول له: «اشتر ما بدا لك من الكتب، وأنا أدفع لك الثمن، فإنك أحييتَ ما أمتُّه أنا من سيرة سلفي. فجزاك الله خيرًا ياولدي». وأعطاه كتب أسلافه الموجودة عنده من أثرهم، الموقوفة على ذراريهم. انظر: «حاشية ابن عابدين» (١/ ٧).

(٢) انظر: «تربية الأولاد بين الإفراط والتفريط» ص (٢٧٢).

وقد دلت الإحصاءات على أن الإثابة الاجتماعية تأتي في المرتبة الأولى في تعزيز السلوك المرغوب، بينما تأتي المكافأة المادية في المرتبة الثانية، مع أن من الأطفال فئة تفضِّل المكافأة المادية.

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال لي أبي: «يابني! اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثًا، وحفظته ؛ فلك درهم»، فطلبتُ الحديث على ذلك.

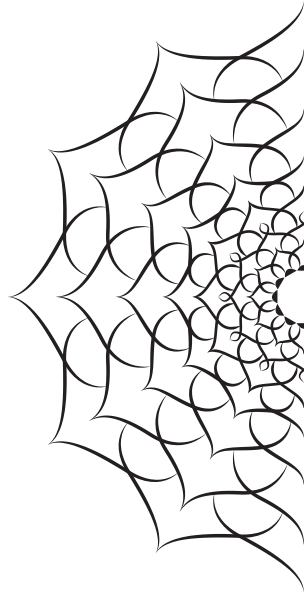

من أنواع
الثواب المادي

من أنواع الثواب المادي

١- تقديم مكافأة نقدية:

قد يصلح في حالة من الحالات تقديم مكافأة مالية للناشئ على حُسْن صنيع صنعه، أو سلوك قام به، وغالبًا ما يكون هذا النوع مناسبًا عندما يكون من الأب أو من الأم لولدهما، وقد لا يكون ذلك مناسبًا من المعلم لتلميذه، ولكن لا بد من ملاحظة أن الثواب المادي بتقديم مكافأة نقدية في بعض الأحيان يشكل خطورة على بعض الناشئة وفي حالات معينة فقط، فينبغي على المربي أن يلاحظ ذلك. ومن خصائص هذا النمط من الثواب أنه يصلح حتى مع الكبار، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠].

وفي التفسير: هم الكفار الذين كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتألفهم ليسلموا، وكانوا يدخلون في الإسلام بالعطاء، أو ممن أسلم حديثًا، فيعطيه تشجيعًا وتقوية [١].

٢- الإعلان عن جوائز تنافسية:

أثر جوائز المسابقات كبير، سواء كانت جوائز تقديرية أو تشجيعية أو تثقيفية، يتنافس فيها الأبناء، وتُعطى لمن يكون حصاده السلوكي، أو العلمي، أو الأخلاقي، أو الديني، أو الثقافي، مرْضيًا بدرجة معينة، حسب شروط المسابقات المعلن عنها، مع الدعاية المناسبة لها، لأن الملاحظ أن كثيرًا من هذه المسابقات، تأتي إلى مدارسنا ومراكزنا متأخرة، ولا يعلم عنها إلا قلة قليلة من الطلاب أو الأبناء، الذين امتهنوا هذا اللون من التنافس مع أقرانهم، أو كانوا أكثر حرصًا على

(١) «أصول التربية الإسلامية» ص (١٩٣).

النيل المادي، مما يُفقد هذه المسابقات أهميتها، التي لو وُظِّفت توظيفًا صحيحًا ؛ لكانت لونًا من ألوان التعليم، وطريقة من طرقه الكثيرة النافعة والمعدِّلة للسلوك والمعززة له [1].

ولا شك أن هذا التنافس يُخرج الطاقاتِ المكنونةَ عند الطفل، ويربي ثقته بنفسه، ويحفزه لبذل الجهد لكي يتفوق على أقرانه، ويربيه على تذوق حلاوة النجاح بعد بذل الجهد، ويعلمه أن لكل مجتهد نصيبًا، ويربيه كذلك على ضبط النفس عند الإخفاق، والرضا بما قسم الله له وقدَّر.

ويُعلِّمه التعاونَ المثمر، والتنافس الشريف، والصدق في احتساب مرات الفوز، ويزيل من صدره الحقد والحسد لمن فاز عليه، فيكرر المحاولة ليفوز في المرة الأخرى.

إن الدرس المستفاد من المسابقة التنافسية هو أنك إذا أردت أن تحصل على شيء في الحياة؛ فلا تكتف بالأمانيِّ، ولكن اسعَ إليه بجد واجتهاد موقنًا أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يثير روح المنافسة الفكرية في أصحابه، فمن ذلك ماروواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من الشجر شجرةً لا يسقُط ورقُها، وإنها مَثَلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي ؟**» قال عبد الله: فوقع الناسُ في شجرِ البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلةُ، فاستحييتُ [2]، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال: «**هي النخلةُ**».

(١) «كيف نربي أولادنا بدون ضرب؟» ص (٨٨).

(٢) وفي رواية: «فإذا أنا أصغر القوم، فَسَكتُّ».

قال عبد الله: فذكرتُ ذلك لعمر، فقال: «لَأن تكون قلتَ: هي النخلةُ أحبُّ إليَّ من كذا وكذا»[1].

ومن المنافسة البدنية: ما رُويَ أن عبد الله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُفُّ عبدَ الله، وعُبيدَ الله، وكَثيرًا بني العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثم يقول: «من سَبَقَ إليَّ فله كذا وكذا». قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فَيُقَبِّلُهم، ويلتزِمُهم[2].

المشاركة أعظم تأثيرًا من المدح[3]:

قال أحد الآباء يشكو ابنه: إنه مُنطوٍ على ذاته، يفتقر إلى الثقة بالنفس والقدرة على البت في الأمور، وروح النضال والكفاح والمثابرة.. فسأله مُحَدِّثُه: كم من الوقت تُمضِيه مع ابنك؟ أجاب بقوله: أراه كل يوم على الإفطار، إلا إذا اختلفت مواعيدنا.. فقال له محدثه: أعرف ذلك.. ولكني أسأل إن كنتَ تُمضي معه وقتًا طيبًا بالمنزل، أو تلعب معه في الحديقة، أو تدعوه إلى مطعم، أو إلى صيد سمك.

أجاب الرجل مندهشًا ومتسائلًا: ومن أين لى الوقت لأفعل ذلك؟

سأله صديقه: هل ذهبت مرة لتشاهده في أي نوع من النشاطات التي يمارسها؟

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٣٣، ١٣٥ - فتح)، ومسلم (٢٨١١).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٨٣٦)، وضعفه محققو «المسند» (٣/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «اللمسة الإنسانية» ص (٥٥٣، ٥٥٤).

ثم قال له: العلاج بسيط.. «كن هناك».. نَظِّمْ حياتَك العملية بحيث يتسع منها وقت لابنك الذي هو أهم من العمل.

قال الأب: إنني أقوم بمدحه، وتحفيزه بكلمات التقدير لما يقوم به !!

قال صديقه: إن امتداح الابن لم يزل أداة قوية في تربيته، وفي مساعدته على الشعور بالرضا تُجاه نفسه، ولكن الدراسات تشير إلى أن المديح شيء فعال لأنه جزء من عامل كبير وهام جدًّا اسمه «مشاركة الآباء»... تلك التي تفعل ما هو أكثر من المدح.. فالمدح شيء عظيم، ولكنه لا يغني عن الوقت الذي تقضيه مع الابن مشاركًا له فيما يمارس من هوايات، أو يقوم به من أعمال..

لقد اعتاد بعض المربين أن يكون دورهم قاصرًا على إعطاء الأوامر ومراقبة التنفيذ، وهو مسلك مخالف لمنهج المربي الأول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي كان يعيش مع أصحابه، ويشاركهم أعمالَهم وهمومَهُم.

٣- زيادة المصروف:

فإذا أحسن فقل له: «إن شاء الله سأزيدك غدًا في المصروف، ولمدة أسبوع»، ويمكن أن تعده بذلك قبل العمل، فتقول له مثلًا: «إذا ذاكرتَ وحصلتَ على درجة كبيرة هذا الشهر؛ فسوف أزيد من مصروفك»، مع مراعاة تنفيذ ذلك، وعدم الخُلف فيه، لما له من أثرٍ سيء على الطفل، فلا يثق في كلامك بعد ذلك.

٤- تقديم الهدايا العينية:

«الهدايا والمكافآت تعتبر تعزيزًا للنجاح والسلوك الحسن، ولو كانت رمزية، ويُستحسَن ربطُها بهذا السلوك وذاك النجاح، وأن تكون مناسبة لأعمار الأولاد واحتياجاتهم، وأن تكون الهدية اقتصادية ومعمرة، إلا إذا كانت تُستهلَك، وأن تكون في المناسبات فحسب، لئلا تُبتذَل بكثرتها، وسهولة الحصول عليها، فيقل تأثيرها وقد ينعدم، وربما أعطت تأثيرًا عكسيًّا إذا لم تكن بحسب هذه الشروط، وهي من سنن الإسلام، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**تهادَوْا، تَحابُّوا**)[1]»[2].

وهذا الحديث الشريف يعلمنا أن الهدية ليست فقط دليلًا على الحب والمودة، ولكنها تجلب الحب أيضًا، وبخاصة إذا لم تكن متوقعة، وكانت من النوع الذي يحتاجه الطفل ويحبه.

هناك هدايا ثمينة تختلف حسب البيئة، كأنواع الجواهر وأجهزة الكمبيوتر ونحوها، وهناك هدايا رمزية كالمناظر الجميلة والألعاب والطوابع وغير ذلك، وفي كل الحالات يعتبر تقديم شيء من هذا النوع أو ذاك ثوابًا ماديًّا يُمنَح للناشئ على سلوك مرغوب فيه مارسه أو قام به، مع مراعاة الجانب التربوي في الهدايا، فإثابة البنات بشيء من الجواهر ربما أدى إلى حصول التفاخر على الزميلات أو الصديقات وكسر قلوبهن، وهو جانب تربوي سلبي، لكن تقديم جهاز المصحف القلمي، أو الناطق بصوت مقرئ متقن قد يكون أجدى.

---

(١) «اللمسة الإنسانية» ص (٥٥٣، ٥٥٤) بتصرف.

(٢) رواه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو يعلىٰ في «مسنده»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٠١).

ويفضل في الهدايا العينية أن تكون متناسبة مقدارًا مع الفعل الذي أُهدِيَتْ من أجله، وحبذا أن تكون من الأشياء المشاهَدة دائمًا كالساعة والأدوات المدرسية.

ولا بد من مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال في تأثرهم بنوع الهدية، بغض النظر عن قيمتها المادية، فقد تكون (البطاقة) عند طفل مفضلة، وقد يفضل طفل آخر الدراجة، وقد تكون وردة أو زهرة تساوي عند بنتٍ الكثير بخلاف غيرها، وتحديد هذا راجع إلى خبرة الوالدين بما يحبه ويتمناه أولادهما.

يقول الأستاذ محمد نبيل كاظم: يمكن لحبة حلوى صغيرة[1]، أن تشكل ثوابًا كبيرًا، لتلميذٍ أبدع في التفاعل التربوي، سواء كان ذلك في البيت أو المدرسة.

ولقد عرفت وشهدت شيخًا كبيرًا علامَّة، تربطني به صلة قرابة، ويسكن بجوارنا، وكنت في السنة الرابعة من عمري، فكان لا يمر به طفل يسلم عليه، إلا أخرج له من جيبه، تلك الحبة من السكر الملونة، وقدمها إليه ماسحًا على رأسه، داعيًا له بالعبارات الطيبة، إلى درجة أن نشم منه الرائحة الزكية الطيبة من الطِّيب، الذي ما يزال أثره وشذاه في أنوف من عرفه، إلى يومنا هذا، مع أنه غادر الحياة منذ قرابة الخمسين عامًا.

ومن هذا الباب، أمٌّ كانت ربة بيت مثالية، تقوم بإعداد مائدة عامرة لأولادها، تشبه وتفوق أرقى المطاعم، مكافأة لأولادها على مناسبة معينة، كنجاح، وتفوق، وتعاون، متدرجة

(١) يتحفظ البعض من إدراج الطعام في قائمة المكافآت كما سيأتي إن شاء الله.

مع تطور وتقدم أعمار أولادها، لتصرف تطلعهم إلى الرغبة في طعام المطاعم، أو الإعجاب به، محافظة على جاذبية التآلف الأسري، وتحقيق رغباتهم في إطارها»[1].

- **هل يُستبعَد الطعامُ من قائمة المكافآت؟**

يتحفظ بعض التربويين من استعمال الأطعمة والأشربة كوسيلة إثابة على سلوك حسن، ويقولون في شرح موقفهم:

«تتكون العلاقة بين الطفل والطعام في سن مبكرة جدًّا، وهذه العلاقة تنبع من الطفولة ثم تبقى معه سائر حياته، ونحن عندما نكافئ الأطفال بالطعام نربط العواطف (كمشاعر السعادة والفرح) بالطعام معًا طول الوقت ـ دون أن نقصد ـ خلال تربيتنا لهم، ونحن نفعله من منطلق حبنا لهم، وبنية حسنة، لكنه يرسل إليهم رسالة خاطئة، وينمي لديهم عادات ضارة تبقى معهم سائر عمرهم. إذا نظرت للبالغين ستجد أن (٧٠٪) منهم إما زائدي الوزن أو سمينين، ونسبة الإصابة بمرض السكري (النوع الثاني) ستظهر بنسبة (واحد من كل عشرة أشخاص)، ويتدهور الأمر حتى قد تصل النسبة إلى (شخص واحد ضمن كل ثلاثة أشخاص) في سنة (٢٠٥٠م) حسب بعض الدراسات، فإن صدق هذا واقعيًّا فإننا نتدهور صحيًّا بسبب التغذية غير الصحية من السيء إلى الأسوأ.

والخبر الجيد هو أن لدينا فرصة لنوقف هذا التدهور الآن مع أطفالنا.

(١) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب؟» ص (٨٣، ٨٤).

إن الطفل إذا أنجز سلوكًا حميدًا بنفسه، فكافأتَه بالحُلْوَيات، فأنت ـ بدون قصد ـ ربطتَ الهدية بالطعام.

فإذا سألت: فكيف أكافئه بدلًا من ذلك؟

أجبتك: اصحبه إلى نزهة في الحديقة أو حديقة الحيوانات، أو امنحه وقتًا مميزًا مع الأبوين، أو أهده كتابًا جديدًا، أو لعبة جديدة.

ما علينا فعله هو أن نأخذ هذه العلاقة، هذا الإعجاب بسلوكه، هذا الفخر به، هذه المشاعر كلها، ونفصلها عن الطعام إلى أبعد حَدٍّ نستطيعه.

علينا أن نعلمه أنه يأكل من أجل التغذية، ولبناء جسمه، وليمده بالطاقة، وليس لأنه يحتاج إلى أن يكافئ نفسه بالطعام.

إذا كان الطفل لديه زيادة في الوزن Overweight في سن أربع سنوات فإنه معرض لأن يصاب بالسمنة أو الوزن الزائد في سن الرشد بنسبة (٧٠٪).

إن ربط الطعام بالمشاعر مخاطرة ومقامرة، فإنه سيأكل حين يفرح، ويأكل حين يتعب، ويأكل حين يصيبه الملل، وباختصار ينبغي أن يستبعد الطعام من قائمة المكافآت تمامًا...

٥- الرحلات في العطلات:

من الثواب المادي أيضًا إشراك الناشئ في رحلة سواء كانت رحلة دينية، وهي أفضل الأنواع، أو رحلة علمية، أو رياضية، أو ترفيهية كحديقة الحيوان، أو المُتحف، أو معرض

الأحياء المائية، ونحوها، وذلك لقيامه بأداء سلوكي مرغوب فيه، وينبغي أن يُستغَل وقتُ الرحلة وجدولها في إكساب الناشئ قدرًا أكبر من القيم والاتجاهات السلوكية الحميدة، بخاصة إذا كانت رحلة دينية إلى مكة لأداء الحج أو العمرة، أو زيارة المدينة المنورة، أو أماكن الغزوات، ونحو ذلك [1].

ويقول د. سبوك: «لا بد أن نثير خيال الطفل بالحكايات الواقعية في المكان الذي سنذهب إليه، لأن ذلك يخفف معاناة الطفل في وسائل المواصلات، ويجعله أيضًا شغوفًا بصحبتنا في السفر» [2].

ويقول الأستاذ محمد نبيل كاظم: إن «الاهتمام بالإجازة الأسرية الأسبوعية له أثر كبير على زيادة الروابط الأسرية من ناحية، وله أثر هام على تجديد نشاط الأفراد من ناحية أخرى، ويمنع من ترسب الملل في السلوك الاعتيادي اليومي الدائم، ولا زلنا في منطقتنا العربية والإسلامية، نستهين بهذا الأمر، ولا نوليه الاهتمام المناسب.

إذا رغبنا أن يكون أولادنا ناجحين سعداء، فهذا الأمر يحمِّلهم جهدًا غير عادي على مدى أسبوع، يؤدي إلى إحداث توتر في الجهاز العصبي، إذا لم تفرغ شِحنته بلون من التجديد والتغيير والترويح عن النفس، بالخروج من البيت لصلة رحم، أو في رحلة، أو زيارة معارف

(١) «أصول التربية الإسلامية» ص (١٩٤).
(٢) «حديث إلى الأمهات» ص (١١٥).

وأصدقاء ، أحدث ضيقًا في نفوس الأبناء خاصة، وربما في نفوس الكبار كذلك، لذا قيل: (روحوا القلوب ساعة فساعة)، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «أَجِمُّوا هذه القلوبَ، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان»[1].

يقول د. فاخر عاقل: إن الإنسان حين تُستنزف قواه.. يهبط مستوى محاكماته، وتضعف إرادته وبذلك تتعطل شخصيته، لا عن النماء فحسب بل وعن الإفادة من معارفها السابقة، وخبراتها الماضية، لمواجهة حاضرها ومشكلاته.. وعلى هذا فإن جميع ما تقدم يقودنا إلى نتيجة تربوية وحيدة.. ألا وهي وجوب حرص التربية الحديثة، على تزويد الإنسان بعادات الاستجمام، وتعليمه كيف يستريح»[2].

(١) «كيف نؤدب أبناءنا بغير ضرب؟» (ص ٨٦، ٨٧).
(٢) «معالم التربية» (ص ١١٣).

اعتراضات على الثواب المادي

يختلف المربون في قيمة المكافأة من الناحية التربوية، إذ يرى فريق منهم أنها باعث خارجي مصطنع شَرُّهُ أكبر من خيره، لأنه يعوِّد الأطفال على أن ينتظروا المكافأة على كل عمل يقومون به، فإن لم تأت هذه المكافأة في الوقت المناسب، فقدوا شوقهم إلى العمل وحبهم له ومالوا إلى الإهمال والكسل.

فالثواب المادي يؤدي إلى النفعية، ويُغَلِّب الجانب المادي، فلا يقوم الطفل بعمل إلا إذا حصل على مقابله المادي، فيحرص على الهدايا والنقود أكثر من حرصه على التطور، لأن الإثابة على الواجبات تعزز قيمة المكافأة، ولا تعزز السلوك نفسه، وبهذا يخرج الثواب عن وظيفته المرغوبة كوسيلة، ويتحول إلى غاية، ويتسبب الثواب في حرمان الطفل من فرصة تعلم التضحية والبذل والعطاء وخدمة الآخرين دون مقابل مادي.

وإذا اعتاد الطفل على المكافأة لتنفيذه لكل أمر، والانتهاء عن كل نهي ؛ فإنه سيتوقف عن التنفيذ ريثما يحدد المربي له الثواب أو العقاب ؛ وإلا فإنه لن يبالي بما نوجهه إليه.

الرد على اعتراضات بعض الآباء

- **الاعتراض الأول:**

ـ نظام المكافآت يدمر التحفيز الداخلي النابع من الطفل نفسه.

فقد أُجريت دراسات توصلت إلى أن إعطاء مكافآت يقلل الحافز الداخلي للأطفال الذي يدفعهم إلى إنجاز المهمة، فتقل احتمالية أن يرغبوا في إنجازها.

والجواب: أن هذه الدراسات التي تناولت تأثير المكافآت على الحافز الداخلي للأطفال توجهت إلى دراسة مهام كانت ممتعة للأطفال المشاركين فيها، إذن هم فعلوا أشياء هم أصلًا يحبونها، وهذا دافع داخلي موجود بالفعل، فلما كوفئوا عليها فعلوها، لكن حبهم لها صار أقل.

فلا يصح قياس هذا على الأطفال ذوي السلوك الرديء، والطفل إذا كان يجاهد مع سلوك مستهدف أو مهارة لا يحبها، فإنه لا يملك بالتالي حافزًا لتغييرها.

ونحن نستعمل نظام المكافأة من أجل تحريك وتحفيز دافعه الداخلي نحو التغيير للأحسن.

- **الاعتراض الثاني:**

ـ نظام المكافآت ما هو إلا رشوة مادية للطفل.

والجواب: أننا نحتاج هنا إلى تعريف الرشوة التي هي: نقود أو مجاملة تُعطي أو يُوعَد بها من أجل السيطرة على حكم الشخص أو أخلاقه، كما يفعل بعض الساسة في الانتخابات حين يبذلون رشاوى مالية للناس كي يصوتوا لهم، أو ليتصرفوا بطريقة معينة.

وهذا يفارق نظام المكافآت:

ـ في أنك متى ما رشوت شخصًا ليفعل شيئًا في لحظةٍ ما، ومتى ما توقفت الرشوة فلن يفعل هذا الشيء، لأن الرشوة لا تُعَلِّمُ مهاراتٍ مستمرة.

أما نظام المكافآت الذي يطبق عمليًّا وبصورة نظامية ممنهجة؛ فإنه قد تم تصميمه من أجل تغيير السلوك بمرور الوقت، فإذا تم اكتساب هذا السلوك، وصار عادة مستمرة؛ فإنك تقطع المكافأة في حين يستمر السلوك ويصبح عادة بعد ذلك.

إذن لو أُحسِن تطبيق نظام الجوائز فإنه لن يشتبه بالرشوة أبدًا، فالرشوة ليست جزءًا من جهود منظمة تهدف إلى تغيير السلوك بمرور الوقت، ومن يُشَبِّه نظام المكافأة بالرشوة؛ فإنه يعمى عن التغيير الطويل المدى في السلوك الذي تُحدِثه المكافآت.

إن الجائزة تعكس تقديرًا لما فعله الطفل، وتمكنك من مساعدته على الاستمرار فيما ترغب منه أن يفعله.

إنها ليست مسألة رشوة، ولا مسألة قليل أو كثير تعطيه إياه، لكنها تتعلق بالسلوك الذي اكتسبه، فتم مكافأته عليه، وكيف يكافأ عليه بطريقة فَعَّالة.

● **الاعتراض الثالث:**

ـ كيف أكافئ طفلي على شيء ينبغي عليه أن يفعله؟

والجواب: هو أن هذا الاعتراض يصدر عن الوالدين عندما لا يلتقي ما يتوقعه الوالدان من الطفل أن يفعله، مع ما يفعله الطفل من سلوك في الواقع.

ـ إن (توقعات) الوالدين من الطفل تكون أحيانًا نظرية وغير واقعية، وربما بنيت على ملاحظة نموه جسميًّا، وتَوَهُّم أن هذا النمو يستلزم أن يستوعب ـ دون مِران وتحفيز ـ أن يسلك ذاتيًّا السلوك المرغوب، مع غضهم النظر عن الأسباب التي قد تحبطه في الواقع، والتي تكمن وراء عدم فعله لما يُفترض (أو يُتوقع منه) أن يفعله.

ـ فقد لا يكون لدى الطفل مهارات سلوكية أو اجتماعية وجدانية.

ـ وقد يكون لديه مهارة لكنه لا يستعملها باستمرار في كل الأوضاع.

ـ وقد يكون قد غلبت عليه عادات سيئة كالكسل أو الفوضى أو الإهمال أو اللامبالاة.

ولو افترضنا طفلًا عمره خمس سنوات انتابته نوبة غضب في محل البقالة لأني لم أشتر له ما يريد، فسأكون مخيرًا هنا بين أمرين:

ـ إما أن أرضخ له وأقبل سلوكه الرديء.

ـ وإما أن أعمل على تعديل سلوكه، وهذا هو الخيار الصحيح، لكن كيف أحقق هذا؟

الجواب: أن بناء مهارات الطفل وتغيير عاداته يتم بطريقة فعالة عن طريق التعزيز الإيجابي (الذي هو نوع من التعلم الإشراطي الإجرائي) باستعمال نظام المكافآت المتنوعة بالشروط السابق ذكرها.

أما استراتيجيات التوبيخ والتأنيب والتهديد والعقاب فإن تأثيرها سطحي ومؤقت، ولا تجدي نفعًا في مهارات التعليم مثلما يفعل التعزيز الإيجابي بالإثابة.

- **الاعتراض الرابع:**

ـ نظام المكافآت منحدر زلق[1] Slippery slope يخرج طفلاً معتمدًا على الجوائز، لا يعمل شيئًا إلا في مقابلة مكافأة.

والجواب: إن هذا الاعتراض ناشئ عن فَهمين مغلوطَيْن:

الأول: أنني سوف أكافئ سلوكًا واحدًا، وسأظل أكافئ عليه إلى الأبد.

الثاني: أنه ـ وبمجرد أن أكافئه ـ سيبدأ في رفض أي مهمة أكِلها إليه إذا لم يتقاض مكافأة.

وكلاهما غير صحيح، ويحتاج من يقول بهما أن يراجع كيف يجري نظام المكافآت، ويفهمه جيدًا.

ـ إن المكافآت لا تُستعمل ـ ضرورةً ـ لزمن طويل، نحن نلجأ إليها فقط ونستعملها إلى أن تنمو المهارات وتصبح روتينية، وتتحول إلى عادات.

والدليل أنك إذا سلكت نظام المكافأة للطفل الذي تدربه على أن يذهب بنفسه إلى المقعد الخاص بقضاء حاجته، فإنك لا تفعل الشيء نفسه مع الصبي ذي الثمانية الأعوام، فضلًا عن المراهق في كل مرة يذهب فيها إلى الحمام.

أنت تعطي الأول مكافأة إلى أن يتجاوز مرحلة حرجة يستطيع بعدها أن يعتمد على نفسه في قضاء حاجته، ويستمر على هذا السلوك.

(١) **مُنْحَدَر:** مكان الانحدار والسقوط، **زَلِق:** الموضع الذي لا تثبت عليه قدمٌ لمَلاسَته.

ـ وهناك سلوكيات أو مهارات تكون صعبة أو أكثر تعقيدًا بالنسبة للطفل ـ مثل أن يُحَسِّن علاقته بأخته الصغيرة مثلًا ـ فهنا قد تطول مدة المكافأة، بخلاف المهام البسيطة التي يتعلمها بسرعة غالبًا.

- **الاعتراض الخامس:**

ـ المكافآت أمر غير طبيعي مخالف لطريقة سير الحياة.

ونظام المكافآت لا يهيئ الأطفال لمواجهة واقع الحياة في المستقبل، لذا علينا أن ندعهم يختبرون كيف ستمضي حياتهم الواقعية.

والجواب:

١- هذا كلام غير سديد وغير واقعي، فما أكثر المكافآت التي يحصل عليها الكبار في حياتهم اليومية الواقعية:

ـ إننا نذهب إلى أعمالنا، ونتقاضى شيكًا مدفوعًا مقابل إنجازنا وظيفتنا.

ـ وإذا عملنا بجد واجتهاد: فإما أن نُكافأ بترقية Promotion أو علاوة Bonus.

فهذه مكافأة على عملنا الشاق، وهي جزء من العالم الواقعي.

٢- كما أن قياس عالم الطفولة على عالم الكبار قياس مع الفارق، لاختلافهما في أشياء كثيرة، ومن المهام الرئيسة التي يحتاج الآباء أن يفعلوها: مساعدتهم أطفالهم على غرس عادات إيجابية جيدة فيهم تنهض بهم، كي يلتزموا بها بصورة مستقلة، ويستمروا عليها إذا كبروا.

ويُجْمِلُ الدكتور أمين أبو لاوي الجواب عن الاعتراضات الآنفة الذكر، فيقول:

«يرى البعض أن استخدام الثواب المادي في التربية يؤدي إلى نتائج سلبية على الناشئ، وذلك عندما يرتبط حصول السلوك بوجود الثواب المادي، بحيث يكون الثواب شرطًا لوجود السلوك المرغوب فيه، وهذا ينتج عنه ارتداد الناشئ عن القيم الحميدة بمجرد فقدان الأمل بالعطاء المادي الذي تعود عليه. ولذا فهم لا يرون هذا الثواب في العملية التربوية. والواقع أن وجهة النظر هذه تكون صحيحة إذا أصبح الثواب شرطًا لحصول السلوك يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، وهو أمر افتراضي [1] إلى حد ما من جهة، ويتصف بالتحامل من جهة أخرى، لأن ربطًا بهذه المواصفات غير موجود في الواقع، وعلى فرض وجوده فإن ممارسة السلوك في حد ذاته سبيل إلى رسوخ قدم الناشئ في أداء ذلك السلوك وتمرينه عليه، فلو لجأ مربٍّ إلى منح طفله شيئًا من النقود مع كل صلاة يصليها إلى فترة زمنية معينة يرى أنها كافية لتعليمه طريقة الأداء والصبر على العبادة،

(١) ومع ذلك إذا افترضنا أن الطفل يشترط بشكل دائم إعطاءه المكافأة قبل تنفيذ السلوك المطلوب، فعلىٰ الأهل الامتناع عن إعطاء المكافأة لهذا السلوك المشروط من قِبل الطفل، لأن المكافأة لا بد أن تأتي بعد السلوك المطلوب وليس قبله.
نعم قد يساوم الطفل علىٰ المكافأة، كأن تقول له مثلًا: «نظف غرفتك»، فيجيبك: «حسنًا، ولكن ماذا سآخذ في المقابل لو فعلت؟»، ويظل يساومك من أجل المزيد من المكافآت، هناك ـ في مثل هذه الحالة ـ إجراءات وقائية تسد عليه باب «المساومة والتفاوض» أهمها: أن يتم ـ منذ البداية ـ بناء نظام نوعي وواضح بشكل مسبق Proactively من شأنه أن يقلل احتمالية المساومة.
كما أن عليك أن تبين له أن المكافآت لابد أن تكتسب بالكفاح والسلوك الحسن، ولا تُمنح مجانًا، ولا تُتَسَوَّل.
ومما يقلل احتمالية المساومة أن يختار بنفسه المكافأة من قائمة المكافآت عند بداية الاتفاق معه علىٰ نظام الجوائز.

وهـذا مـن حيـث الواقـع هـدف نسـعي إلى تحقيقـه في مثـل هـذه الجزئيـة مـن التربيـة، فـلا يتصـور والحالـة كذلـك أن الثـواب سـار في الاتجـاه السـلبي ألبتـة، كـما أننـا لا نسـعى إلى ربـط القيـم بالثـواب بهـذه الصـورة، لا سـيما وأن التربيـة بالثـواب تنتظـم في سلسـلة الإجـراءات التربويـة الأخـرى، بحيـث لا يكـون الاعتـماد عـلى أسـلوب واحـد بعينـة وبطريقـة مجـردة تمامًـا، وبالتـالي فـإن التربيـة بالثـواب المـادي بخاصـة لا تشـكل خطـورة عـلى عمليـة التربيـة طالمـا أن اسـتخدامه اسـتخدام سـليم» [1].

فتشـجيع الطفـل والتـودد لـه شيء ضروري مـع مرعـاة التـوازن بـين التشـجيع المـادي والتشـجيع الأدبي أو المعنـوي، إذ إنـه مـن الخطـأ الاقتصـار عـلى الجوائـز الماديـة فقـط ؛ لئـلا يشـب الطفـل نفعيًـا يأخـذ مقابـل مـا يفعـل، ولكـن المكافـأة المعنويـة كالمـدح والثنـاء أمـام الآخريـن مثـلًا لهـا أيضًـا كبـير الأثـر في تشـجيع الطفـل وتحفيـزه.

والحاصـل أن للمكافـأة قيمـة تربويـة معتـبرة، وهـي ظاهـرة طبيعيـة مـن ظواهـر الحيـاة الاجتماعيـة، وإذا قيـل إن للمكافـأة عيوبًـا وسـيئات، فالجـواب أنهـا ليسـت في حـد ذاتهـا خـيرًا ولاشرًّا، وإنـما تكـون خـيرًا وشرًّا تبعًـا لطريقـة تطبيقهـا فـإذا طُبقـت بحكمـة واعتـدال كانـت خـيرًا وإلا انقلبـت شرًّا، وهـذا الـذي دفـع التربويـين إلى وضـع ضوابـط وتحديـد مقومـات مـن أجـل نجـاح أسـلوب الثـواب التربـوي.

(١) «أصول التربية الإسلامية» ص (٢٠١، ٢٠٢).

الثـواب المـعنوي أفضل من الثواب المادي

لأن الثـواب المعنـوي يتيـح للطفـل أن يكـوِّن وِجدانـه وضمـيره، ويقـوي ثقتـه بنفسـه وأخلاقه، ويشـعره أنـه محسـن في عملـه، وقـادر عـلى الإتقـان والنجاح.

وتُفَضـل المكافـأة المعنويـة التـي تُقَـدَّم لفرقـة أو مجموعـة مـن التلاميـذ أظهـرت براعـة، أو أنجـزت تفوقًـا ونجاحًـا، لأن المكافـآت المعنويـة هنـا تقـوي النزعـة الاجتماعيـة للطفـل، وتحبـب إليـه التعـاون «بـروح الفريـق» وتغـرس فيـه قيمـة التضامـن مـع الآخريـن مـن أجـل إحـراز الأهـداف المشـتركة.

الآثار الإيجابية
للثواب التربوي

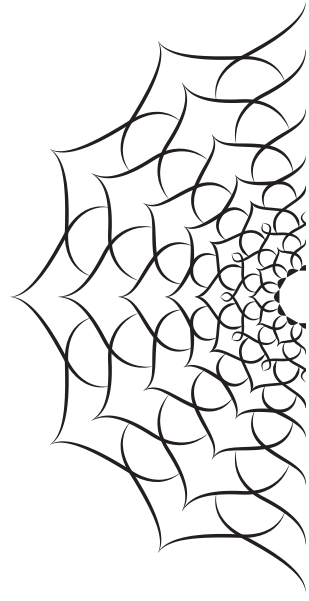

الآثار الإيجابية للثواب التربوي[1]

لاستخدام أسلوب الثواب في التربية الإسلامية مسوغات تجعل من الضروري المصير إليه في العملية التربوية المستمرة، لما له من الآثار الإيجابية الفاعلة في تحقيق تربية إسلامية مستدامة لدى الفرد المسلم، لا سيما وأن مفردات الثواب في التربية الإسلامية تُستمد من النصوص الشرعية، والهدي النبوي الشريف، ومنهج السلف الصالح، وترتبط لدى المربي برضاء الله عَزَّوَجَلَّ وترتبط لدى الناشئ بحصول الأجر ثم المصلحة، ومن هذه المسوغات ما يلي:

١- ترسيخ السلوك المرغوب فيه لدى الناشئ:

عندما يستخدم المربي الثواب على سلوك مرغوب فيه سلكه الناشئ، فإنه يرسخه ويثبته في نفسه، وكأنه يقول له: إنك في الاتجاه الصحيح فاستمر، كما أن الناشئ يشعر بالارتياح والسعادة عندما يسمع أو ينال ما يسره، حينما يسلك سلوكًا حميدًا، لا سيما إن كان ذلك السلوك لم يسبق له أن ظهر عليه من قبل، أو كان سلوكًا متوقعًا، أو أنه أداه بصورة جيدة ومتميزة، إلى غير ذلك من المبررات التي ترتبط في العادة بالثواب، وفي جميع الحالات يؤدي تثويب الناشئ إلى أن يصبح سلوكه الذي أثيب عليه سلوكًا راسخًا عنده.

(١) انظر: «أصول التربية الإسلامية» ص (١٩٥) وما بعدها.

٢- دفع الناشئ إلى أن يكرر السلوك المرغوب فيه:

تسعى التربية الإسلامية إلى أن يكون السلوك الحميد عند الفرد سلوكًا مستدامًا، يقوم به كلما اقتضى الأمر ذلك، وتسعى إلى الحيلولة دون أن يصدر الفعل عن الناشئ من غير قصد، أو كيفما اتفق، لأن ذلك يعني عدم وجود قناعة بأن هذا السلوك سلوك قويم، ولذا فإننا نسعى من خلال الثواب إلى إيجاد هذه القناعة، ومن ثمة شعور الناشئ باللجوء إلى هذا السلوك كلما عرض إليه، كالطفل يجد مبلغًا من المال فيقوم بإبلاغ أبيه أو أمه أو معلمه أو مدير مدرسته، فيثاب على ذلك ليسلك السلوك نفسَه إذا ما تكرر الموقف مرة ثانية أو ثالثة، وأظن أن تمرير مثل هذا الموقف من غير إثابة مقنعةٍ للناشئ قد تجعله يندم على ذلك السلوك الذي أفقده مبلغًا كان من الممكن أن ينتفع به ويوسع به على نفسه، ولكن في المقابل إذا ما أعطيناه جزءًا من المبلغ أو مدحناه أو أَشَدْنا به في الإذاعة المدرسية أو نحو ذلك، فإنه في الغالب سيكرر هذا الموقف إذا ما وجد شيئًا مرة أخرى، لا سيما إذا صحب ذلك بيان أن هذا المال هو حق الغير، وأنه يحرم أخذه، وسؤاله عما إذا فقد شيئًا ورجع إليه، كيف يكون امتنانه وشكره للذي أعاده إليه ؟ وكيف يكون ثواب أداء الأمانة إلى أهلها عند الله ؟.. إلخ.

٣- القيام بالواجب:

يدفع الثواب الفرد المستهدف بعملية التربية إلى القيام بالواجب الذي ينبغي عليه القيام به، بل يدفعه إلى أداء كل واجب يكلف به سواء كانت واجبات داخل البيت في إطار الأسرة ؛

كالخدمات الممكنة التي تُطلَب منه، أو الواجبات الدراسية التي يكلفه بها المعلمون، كل ذلك بالإضافة إلى الواجبات الدينية الرئيسة كالصلاة والصوم، وفي جميع الحالات نجد أن إجزاء الناشئ أو الفرد المعني على واحد من الواجبات إجزاء مناسبًا يحفزه ويغريه بأداء الواجبات الأخرى، لوجود أكثر من عاملِ دفعٍ لذلك، فالأمل في مزيد من الثواب أحد العوامل التي تجعله يقدم برغبة أكيدة على القيام بالواجب، والمحافظة على التفوق المعنوي.

٤- تخليص الناشئ من سلوكه السلبي:

إذا كان عندك تلميذ ضعيف أو فاقد الثقة أوخامل، والأصل ألا يوجد، فيمكنك أن تكلفه بواجب أو عمل يسير جدًّا يمكنه القيام به لا محالة، فتثيبه عليه وتشيد به، ثم تكرر الثواب والإشادة مع مراعاة التدرج في الأعمال، والتدرج في الثواب، فإنك ستجد أن هذا التلميذ سيخرج من قمقمه، وسيبدأ يحاول بقوة وحِرصٍ على أن يحافظ على تلك المكتسبات التي حققها، وإذا ما كان المعلم مخلصًا في تحقيق هدفه فإنه سيتحقق بإذن الله تعالى، وليس هذا خاصًّا بالتلميذ والمعلم، فإن الأب والأم في الأسرة حَرِيَّانِ أن يحققا عند ولدهما تقدمًا إيجابيًّا إذا ما أَحْسَنَا استخدام هذا الأسلوب، فلو كان هناك طفل يكذب في حديثه، وأراد الأب أن يعالج هذه المشكلة عند ولده، فيمكنه أن يلتقط منه خبرًا واحدًا صدق فيه، فيغدق عليه الثواب، ويشيد به أنه أصبح يصدق، وأنه بدأ يقلع عن الكذب، وأنه قريبًا سوف لن يكذب ألبتة، فإنه سوف يقلع فعلًا، وقد أثبتت التجارب ذلك شريطة الاعتدال وعدم المبالغة.

٥- وقاية الناشئ من السلوك السلبي:

لا يعني عدم ممارسة الفرد لسلوك سلبي أنه محصن تمامًا من الوقوع فيه، كما لا يعني عدم وجود رغبة في ممارسة ذلك السلوك، لأن ما يدور في خَلَد الفرد أو الناشئ شيء لا يُشاهَد ولا يُرى، الأمر الذي يجعل المربي حريصًا على تحصين الناشئ من الآفات السلوكية بالأساليب التربوية الناجعة، والتي على رأسها في هذا المقام الثواب، بحيث يمدح الناشئ مثلًا أنه ليس كالأولاد الشريرين الذين يسرقون أشياء زملائهم، وأنه يكرههم ولا يحب أن يصاحبهم، لأنه يخاف من الله تعالى، ولا يرتكب الحرام.. إلى آخر ذلك من العبارات.

أو أن يقول: «أنا متأكد أن فلانًا سيصلي العيد مع أبيه في المصلى إن شاء الله»، ومثل هذا في الغالب حري بأن يعطي الصبي أو حتى الفرد الكبير دفعة قوية باتجاه السلوك الحميد، ويمنع تقاعسه عنه إن كان يسلكه واعتاد على ممارسته.

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا الباب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الفهرس

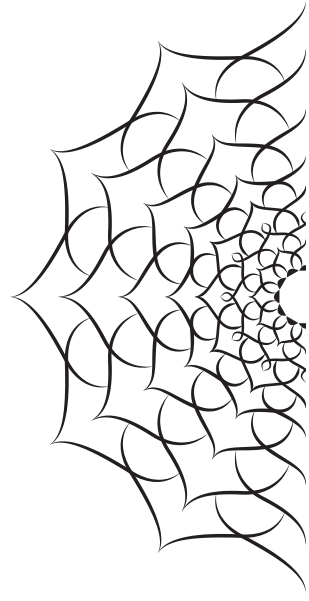

الفهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة	٧
الأطفال هم المستقبل	٧
الأسرة أقوى مؤسسة تربوية	٨
مسؤولية الآباء عن تربية أولادهم	٩
حرص السلف على تربية أولادهم	١١
الهدف الأسمى من التربية الإسلامية نجاة الذرية في الآخرة	١٢
المقارنة بين «أمية القراءة والكتابة» و«الأمية التربوية»	١٣
موقفنا من المناهج التربوية الغربية	١٤
على الوالدين تعلم خصائص كل مرحلة عمرية وكيفية التعامل معها	١٥
ليس بالعقاب وحده يُؤَدَّب الطفل	٢١
العقاب قد يفلح في أداء نصف المهمة التربوية	٢١
للمكافآت والجوائز أثر ساحر في تربية الطفل	٢١

الموضوع	صفحة
لا تتجاهل إثابة الطفل إذا قام بتصرف سليم	٢٢
معنى الثواب، والترغيب، والتعزيز	٢٢
معنى الإثابة في الاصطلاح التربوي	٢٣
احتياج الإنسان إلى الثواب	٢٤
معنى التعزيز	٢٤
التعزيز الإيجابي	٢٤
التعزيز السلبي	٢٥
ترجيح الثواب على العقاب	٢٩
الآثار الإيجابية للثواب في التعليم والإصلاح التربوي	٣٠
تراثنا التربوي الإسلامي يميل إلى الثواب أكثر من العقاب	٣٠
الاعتراضات على فكرة الثواب	٣٢
سلبيات التربية بالثواب غير المنضبط	٣٢
بروز اتجاه تربوي ثالث يتوسط بين الاتجاهين	٣٢
الوسطية بين الثواب والعقاب	٣٧
الحاجة إلى الثواب التربوي	٤١

الموضوع **صفحة**

فوائد التربية بالثواب ٤٢

مقومات نجاح التربية بالثواب

١- **المصداقية** ٤٥

لابد للمربي أن يفي بوعده بالمكافأة مهما كلَّفه ذلك ٤٥

تفسير قوله تعالى في حق إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ ٤٥

نصوص في الترهيب من إخلاف الوعد ٤٦

الأثر التربوي للثواب يضمحل إذا أخلف المربي وعده ٤٧

لابد أن تهدف المكافأة إلى تعزيز قيمة تربوية واضحة ٤٩

احذر سحب المكافأة منه بعد قبضه إياها وإعطائها لغيره ٥٠

٢- **المساواة** ٥٠

نصوص من الوحيين الشريفين تؤسس لمفهوم المساواة بين الأطفال ٥٠

مال المقصود بالمساواة في هذا السياق التربوي ؟ ٥٣

٣- **الاعتدال** ٥٤

ينبغي أن تكون المكافآت متدرجة في قيمتها المالية والمعنوية ٥٤

المبالغة في الثواب من غير استحقاق تجعل الناشئ يستخف بالمعايير ٥٤

الموضوع	صفحة
يراعى خلو الثواب من الإفراط والتفريط	٥٤
لا تفرط في المكافآت المادية	٥٥
لابد من تراخٍ زمني بين المكافأتين	٥٥
٤- **الواقعية**	٥٥
تكون المكافأة على سلوك وقع بالفعل	٥٥
أهمية أن تكون المكافأة على عمل متميز فاق فيه زملاءه	٥٥
٥- **التعجيل**	٥٦
سرعة الإثابة عقب الفعل تحدث أكبر أثر تربوي في الطفل	٥٦
مثالان للمكافأة الفورية	٥٧
تنبيهان يتعلقان بتأخير الثواب	٥٨
٦- **التنويع**	٥٩
لابد أن تكون الحوافز متنوعة ومتعددة حتى تفجر طاقات الطفل	٥٩
اعط الطفل فرصة لاختيار المكافأة أحيانًا	٦٠
ينبغي أن تكون المكافأة محبوبة للطفل	٦٠
لابد من مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال عند اختيار نوع المكافأة	٦٠

الموضوع صفحة

ابن تيمية الطفل يرفض مكافأة شيخه مقابل حفظ القرآن الكريم ٦١

الثواب التربوي: معنوي، ومادي

أولًا: الثواب المعنوي

١- قبول الطفل بإحاطته بالحب والتعاطف ٦٥

٢- إحسان تسمية المولود، ومناداته بالاسم الذي يحبه ٦٦

٣- من صور الثواب المعنوي اللفظي: المدح والثناء والدعاء ٦٧

أثر المدح التربوي في عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٦٨

لماذا يتأثر الأطفال بالمدح التربوي ؟ ١٣٤

أثر التشجيع في إبراز مواهب الطفل ٧٠

على المربي أن يراعي قواعد الثناء التربوي ٧١

تنبيهات ٧١

الأول: قل، ولا تقل ! ٧١

الثاني: تجنب تعليق لافتة على ولدك ٧٢

الثالث: احذر إظهار الإعجاب بسلوكيات خاطئة ٧٢

الرابع: الثناء يؤدي إلى تكرار السلوك ٧٣

الموضوع	صفحة
الخامس: راع الفروق الفردية عند المدح	٧٣
السادس: امدح غيره أمامه إذا أحسن	٧٤
ومن أساليب الثواب المعنوي اللفظي: حكاية القصص	٧٤
فوائد القصة	٧٥
ضوابط القصة	٧٦
أحسن القصص قصص القرآن الكريم والسنة الشريفة، وما تضمنه تاريخنا الإسلامي	٧٦
٥- الثواب المعنوي الحركي	٧٦
التواصل البصري المعبر عن الحب والود والرضا	٧٦
الابتسامة وبشاشة الوجه	٧٧
اللمسة الحانية، ومسح رأسه، والتربيت على كتفه، وضمه لصدر أمه	٧٧
حسن استقباله بمصافحته، والترحيب، والحفاوة به	٧٩
٦- الثواب المعنوي برفع الذكر	٨٠
٧- الثواب المعنوي من خلال التقويم الإيجابي «الدرجات المدرسية»	٨١
استخدام النجوم اللاصقة في تعديل السلوك	٨٢
٨- الثواب المعنوي بإظهار الاهتمام به	٨٣

الموضوع صفحة

٩- **إثابة الطفل بإسناد شيء من المسؤولية إليه** ٨٦
من هدي رسول الله ﷺ في إسناد مسؤولية إلى الطفل ٨٩
١٠- **من صور الإثابة المعنوية: العفو عنه عندما يخطئ** ٩٢
استطراد: فيه التحذير من المكافأة العارضة على سلوك سلبي..... ٩٣
ثانيًا: الثواب المادي
من صور الثواب المادي..... ٩٤
الإثابة الاجتماعية (المعنوية) أعظم أثرًا من الإثابة المادية..... ٩٥
من أنواع الثواب المادي ٩٩
١- تقديم مكافأة نقدية..... ٩٩
٢- الإعلان عن جوائز تنافسية ٩٩
٣- زيادة المصروف ١٠٢
٤- تقديم الهدايا العينية ١٠٣
قول رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا» ١٠٣
احذر الجانب التربوي السلبي لبعض الهدايا..... ١٠٣
لابد من اعتبار الفروق الفردية بين الأطفال عند اختيار الهدايا ١٠٤

الموضوع	صفحة
العبرة في الهدية بأثرها التربوي وليس بقيمتها المادية	١٠٤
هل يُستبعد الطعام من قائمة المكافآت؟	١٠٥
الرحلات في العطلات	١٠٦
أثر الاهتمام بالإجازة الأسرية الأسبوعية	١٠٧
اعتراضات على الثواب المادي	١٠٩
الرد على هذه الاعتراضات	١١٠
الاعتراض الأول: نظام المكافآت يدمر التحفيز الداخلي النابع من الطفل نفسه	١١٠
الاعتراض الثاني: نظام المكافآت ما هو إلا رِشوة مادية للطفل	١١٠
الاعتراض الثالث: كيف أكافئ طفلي على شيء ينبغي عليه أن يفعله؟	١١١
الاعتراض الرابع: نظام المكافآت مُنْحَدَرٌ زَلْق يُخرِج طفلًا معتمدًا على الجوائز، ولا يعمل شيئًا إلا في مقابلة مكافأة	١١٣
الاعتراض الخامس: المكافآت أمر غير طبيعي مخالف لطريقة سير الحياة	١١٤
المكافأة المادية ليست خيرًا ولا شرًّا في نفسها، ولكنها خير إذا طبقت بحكمة واعتدال، وإلا انقلبت شرًّا	١١٦
الثواب المعنوي أفضل من الثواب المادي	١١٧

الموضوع	صفحة
الآثار الإيجابية للثواب التربوي	١٢١
١- ترسيخ السلوك المرغوب فيه لدى الناشئ	١٢١
٢- دفعه إلى أن يكرر السلوك المرغوب فيه	١٢٢
٣- القيام بالواجب	١٢٢
٤- تخليصه من سلوكه السلبي	١٢٣
٥- وقايته من السلوك السلبي	١٢٤

تم بحمد الله تعالى